تصدير

لوحظ فى السنوات الاخيرة مزيد الاهتمام بالدراسات القصصية وعقد الندوات حول موضوعات نظرية أو حول إنتاج قصصى رواية كان أو أقاصيص . وامتد هذا الى العواصم الاقليمية فى الجمهورية . ويتلقى نادى القصة الدعوى تلو الدعوة من هنا ومن هناك حتى يشارك هو أو أعضاؤه فى تلك الأنشطة . وهذه ظاهرة محمودة بلا شك تبشر بالنماء فى العطاء من جهة ، وتشير الى نوع من الاهتمام بهذا النوع من الابداع من جهة أخرى ، هذا النوع الذى لا تتمثل منزلته فى الجانب الفني فقط بل لأن هذا النمط من الابداع الصق بالحياة اذ هو يحاكيها ويحللها حسا ومعنى .

واذا كانت مسارب التجهيز الثقافى امتدت الى مختلف المناطق ، وتنافست الدور واللجان الثقافية فى التنشيط الثقافى بفضل ما وفرت لها وزارة الشؤون الثقافية من وسائل ذلك التجهيز فان كل ذلك لا يكفي فى التدليل على المستوى المطلوب من العطاء ، وعلى الهوية النابع منها ذلك الاسناد .

والتنشيط الثقافى لا يحتاج الى التجهيز المادى فقط ولا الى الدافع الخارجى وحسب بل هو فى أمس الحاجة الى نوع من الدفع الذاتى والهواية بالاضافة الى محصول من الادراك والاطلاع نفسيا واجتماعيا لان تنشيط المواهب ، وتغذية الاذواق وتحريك سواكن النفس ، وتحسيس هواجسها يحتاج الى كل ذلك .

أما عن محتوى التنشيط ذاته فينبغى أن يكون أقدر على استبطـان تلك المواهب واستيعابها . واذا حاد التنشيط عن كل ذلك يصبح ضربا من تزجية الفراغ ومن اللهو المجانى وقد يصبح ضرره أكثر من نفعه ، وخسارته أكبر من ربحه • نذكر هذا وغيره نتيجة لمـا لمسنـاه فى العديـد من المنـاسبات والانشطة اذ يصبح التنشيط فيها لا يعدو أن يكون تبريرا للبقاء فى المهنة أو منافسة شكلية تقليدية تنتهى بالركود وانعام الحماس . وهكـذا يتضـح أن التجهيز المادى لا يكفي وحده ، وأن التنشيط الذى نقوم به فى مجال الابداع الادبى ينبغي أن يكون مشبعا بروح البذل ، وكرم العطاء ، وحيوية الضمير حتى يتلاقى الجانبان التلاقى النافع والمنتج .

« قصـص »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عنـــاكـب الدهـــاليـز

بيتنا والرجل الذى يسكنه من طراز واحد . فحينما يقع على أحدهما نظرك لاول مرة يلمع رسمه فى ذاكرتك فلا تشك فى أنك تعرفه وتبحث عنه هناك فلا تجده . وتجد نفسك فلا تعثر عليه . فتزعم لنفسك أنك واهم أو تتهمها بالنسيان . وتبقى مع ذلك علاقة ما تربطك به .

وبيتنا من ذلك الطراز العربى العتيق لا يدعى الفخامة . وإنـه ليتبـاهى بالرحابة ، فقد كان مترامى الاطراف به بيوت يصعب عليك احصاؤها لأول وهلة وقد كان جدى يسميها جحورا فاذا غضب من جو المشاحنات والخصام الذى لا يهدأ بين نسائه وزوجات أبنائه وأحفاده صاح بصوته الجهورى الذى ترتعد له الفرائص : « لتلزم الحيوانات جحورها والا !!.. »

وبموت جدى أقيمت الجدران وتصرف كل وارث فيما يملك . وفتحـت الابواب من كل الجهات واتخذ كل سبيله فانفصمت الروابط .

وفى شريط طويل بقي الجحر الخالد الذى هو بيت جدى كما كنا نسميه . وفى هذا البيت يجثم خياله . والى جانبه هيكل جدتى ، يقابله من بعيد وفى آخر الشريط بيت لرجل لا أدرى سبب وجوده هناك ولعله انجر اليه عن طريق احدى قريباته من ازواج جدى الكثيرات هذا الرجل يحييك ويبتسم يقدم لك ثمرة أو زهرة أو كلمة طيبة وينصرف شاكرا ان منحته أو منعته ، يحدثك حتى تظن أن حديثه لن ينتهى ، فكلماته ذات منافذ يـؤدى بعضهـا الى بعض .

. وكانت أمنية نبتت فى داخلى وتكبر معى أن اقتحم عليه البيت واستمـع اليه فأعرف سره . لماذا يعيش فى بيتنا ؟ ومن أجل ماذا يبقى أعزب؟ وهل له أقارب ؟ المهم أن أتحدث اليه حتى أجعله يبوح . ولكن كل الفرص هربت منى فما قدرت على اصطياد واحدة منها حتى جاء ذلك اليوم المطير البـارد الذى

لازمت فيه جدتى الفراش . وانها لتحتضر والنسوة من حولها يقترحن العلاج ولبت آمى كل مقترحاتهن ودوى المهراس وتنوع ما يهضمه .

وكان الأمثل أن تدعى العرافة ، وها هى تتمتم وان سكان بيتنا من الجن يقترحـون .

غادرت بيتنا وأنـا أكـرر كلمات أمى . فقـد كلفتنى بالبحث عن ديـك بأوصاف معينة وقالت :

ـ لا تعد بدونه . اخلقه حتى من الطين .نقب البلدة بيتا بيتا . فهذه العرافة تحت رأس جدتك وقد قبضت على الداء . بقي أن تعيده الى فاعليه من أهل الجن . أتعرف الجن ؟ يجب أن يكون أبيض منقطا بالسواد ..

لو كلفت أخى الصغير لقام بالمهمة عن اقتناع . ولكن لن يكـون أسود مـن يلج الظلام .

كنت أتجول فى القرية وأسأل الصبية وارفع صوتى أحيانا بالاعلان عن رغبتى . وتحمست للعبه فبعض الفتيات أفصحت عنهن شقـوق الابـواب معي الكلمات وأهدينني بعض البسمات .

قالت احداهن : عندنا ديك لكنه أبيض يميل الى الحمرة بلون الورد .

وصفقت الباب بعنف أمام جمودى .

وقالت الاخرى : عندنا ديك أسود . ودفعت بكلتا يديها شعر رأسها فغطى كل وجهها .

فقلت وأنا أرتجف فى الظلام :

ـ هذه رغبة الجن . ولو كان الامر بيدى لشريته حتى لو فقد لونه .

وقبل أن تصفق الباب هى الاخرى ضربت كفا بكف وقالت : هذه إضافة أخرى إلى البله والمجانين فى قريتنا .

أما الثالثة فقد قالت : عندى ديك . لكنه منتوف الريش .

قلت : كيف عرفت لونه إذن ؟

قالت : عجبا لقد فقس بين أحضانى . ومن قبل أن يزول ريشه كان لونه يستجيب لشروطك أفلا تصدق .

قلت : إن صدقتك أنا فالجن لا يفعلون ذلك .

فضحكت هى الاخرى . ولم تقل شيئا .

واعتقدت . ولو على سبيل الخطأ . أن السخرية تعبت من ملاحقتى . واعتبرنى الجميع شابا متخلفا بدائيا فى ملابس عصرية . ولكن ذلك لم يمنعنى من مواصلة رحلتى ، فأنا أعرف أن فتيان قريتى تستهويهن دغدغة قفا الشبان .

ثم إنى أحب جدتى وأود أن لا ترحل . بل ومن أدرانى أن جهد العرافة فاشل فلماذا احكم على الاشياء قبل ان تخلق .

تذكرت الآن انى اهملت عروض بعض العجائز ، وقد ثرثرن معى إلى حد القرف فأقسمت ان لا أتعامل معهن حتى لو وجدت ضالتى هناك ، ولا أرفع بصرى الى وجوههن العتيقة ، ومع ذلك فقد بقي الطنين فى أذنى حيث قالت إحداهن :

ـ ما فائدة البحث عن شىء مفقود فالديكة من هذا النوع تنزع الجن عنها ألوانها وهى لم تزل بعد انقاقا لانها تدرك خطرها عليها . قل للعرافة أن تغير الوصفة . فاذا كان الامر يستدعى حماما فعد إلي . أما اذا كان تيسا فهنالك تجده . وأشارت الى بيت بعينه .

وما استدرت وفارقت شبحها حتى وجدتنى فى مواجهة الرجل جار جدتى، رجل بيت جدى والذى يسكنه ولا احد يعلم كيف .

وسألنى بلطف : هل حصلت على شىء . وأين تقدمت فى البحث ؟ وما هى نتائجه ؟

فقلت : انى أجد . والبحث متواصل .

فوضع يده على كتفى وهو يقول :

أتعرف أن جدى كان يشبه جدك . وأن جدك كان يشبه الصادق باى . وكان جدك يصيد العصافير . اما جدى فقد كان يصيد السمك من باب البحر. اذهب الى المتاحف وسترى صدق ما أقول .
فبندقية جدك ترقد الى جانب قصبة جدى . أتدرى متى اخذا للمتحف .

أقول لك بكل صدق انه ذلك اليوم الذى طار فيه عصفورى من القفص وكنت أبحث عنه فوق السطوح فشاهدتهم يشنقون على بن غذاهم . ليلتها خـاف الناس من الاكل وباتوا جياعا .

انت تبحث عن ديك . هات كفك . انه هنا الا تراه .

لو كنت أنت مكانى وفى ليلة عرسك حدثت « واقعة الجلاز » فماذا تـراك تفعل . خصوصا اذا أصبت برصاصة فى فخذك . لقد سمعت أمـى لعلعـة الرصاص فاعتقدت أنها ليلة العرس فعلت زغاريدها . وعندما لامها أهل الحى قالت بأنها فعلت ذلك لتعلن النصر وقت الهزيمة وان الدمـاء هى كالحنـاء يتبرك بها الرجال ولا يسمعونها . وأخذ أصابعى فبسطها وأخذ ينفيها واحدا بعد آخر قائلا : انهزم الشعب . انتصر الشعب . انهزم . انتصر الشعب . لقد دفنوا كل البايات فى قبر واحد . اسمع اذا حضرت ذلك اليوم ـ يـوم يتكلم كل انسان فيستمع اليه ـ فلا تتحدث اليهم عن نفسك . انسها حتى يتذكرك الآخرون انك تبحث عن ديك لجدتك . أنا ابحث معك ولكن فى الخفاء أنا معك ولست أجاريك .

لقد كانت جدتك فى يوم ما زوجة صديق لجدى رغم اختلافهما فى الهواية. انك تفهمنى ولا شك فانت تحسن القراءة . أنا أصارحك : أننى تعثرت فى دراستى فما أتممت سورة الفاتحة الا بعد أن صمت شهر رمضان لاول مرة وتبلبل عقلى حينما وصلوا بى الى « الكافرون » فما أتقنت الى يـومى هـذا « عابدون ما تعبدون » عندها أخذنى المؤدب من ذؤابتى وبيده الكريمة القى بى فى الشارع . وأرسلوا بى بعدها الى جامعة الملاكمة ولكن للاسف تدربت على تلقي الصدمات لا ان اتفاداها . وكل التدريبات بعدها أضعتها فى التساؤلات وما أدركت جوابا .

اسمع يا حفيد صديق جدى . لقد وضعوك فى مأزق فقد جعلـوك تجرى وراء شىء مفقود ولو استمعت الى نصحى فلن ينجيك من مأزقك هذا غيـر الزيف . إنه لا محالة يستدعى مهارة لا علم بمقدرتك فيها . ولكنه لا محالة واصل بك الى محطة أنت تجهلها الآن . ومع ذلك فستبهرك . وأخشى عليك وقتها قلة الاحتمال اذا قبضت عليك الحقيقة .

اعمد الى ديك أبيض وانقطه بالسواد . فالالوان السوداء تباع هنا وهناك وعلى قارعة الطريق فالكل خدعة .

أنا أيضا أبحث عن شيء مفقود . وأسفى أنى حتى لو وجدته شبها له فى غير لونه فسأكون عاجزا على تلوينه لان اللون أيضا غير موجود .

أنا أعلم أن ليس هناك مستحيل . ولكنى واثــق من أن الطبيعــة تصاب بالعقم هى أيضا .

يا حفيد صديق جدي واصل بحثك فقد تجد شخصا بأوصــاف ديكك . ولكنى أرجوك أن تنسى أننى تحدثت اليك وأنك إنما التقيت برجل نصفه حمار والنصف الآخر يبحث عن هوية فى شىء مفقود .

وترك يدى تسقط من بين يديه . ومضى لا يلتفت وأسرع فى مشيته ولكنه كان يرفع يديه وينفضهما .

وأحسست بدوران فوضعت يدى على جبينى أتحسسه وقــد تساقطت حبات العرق رغم برودة الطقس . وأردت أن أفكر فى شىء أى شىء فاذا أنا غير قادر على غير التأوه . ومن خلفى سمعت صرير باب يفتح وصوتا ناعما يسأل : أأنت الباحث عن ديك أو هو ذاك الذى انسحب ؟

قلت حانقا دون أن ألتفت :

ـ لماذا السؤال ؟ أنا أبحث عن ثعبان ! أبحث عن تيس ! فماذا يهمك أنت؟

وحولت نظرى فاذا أنا أرتجف وكدت أستنجد بحــائط يسنــدنى . ولكن ابتسامتها فى الوجه الصبوح أعادت لى تماسكى . وأرجع لى وعيى صوتهــا الموسيقى الناعــم :

ـ تعاشر الغضب باكرا . إنه يصرعك قبل أن تضع رجلك على الطريق . ادخل فلسوف اجعلك تتعامل مع الهدوء . وأن الباب من خلفى وألقت بيدها تخاصرنى ونقرت بالأخرى على أرنبة أنفى وضحكت فكانما كنت أستمع إلى سمفــونية .

الحق أنى لا أقدر على الوصف فما تكشف لى لا عهد لى به وما ارتدت الحقول المزهرة قبل الآن . ومهما حاولت أن أصف أحاسيسى فلن أكون صادقا وأنا المقصر فى التبليغ .فلقد سبحت فى بحر اللذة عاريا وكنت قبلهــا أمتطى زورقا تتدلى منه رجلاى فأحس بملامسة الماء تدغدغ قدمى وهــا أنى أغطس الآن بكلي .

كنت أمشى على الشواطىء فيلحس الموج أقدامى وتحتك به كاحتكاك عود الثقاب على علبة الكبريت وها إنى أصبحت قادرا على خوض البحار وقد كان

جدى كما يقول ذلك الرجل صياد عصافير فياليته كان بحارا . ووقف خيال جدتى المريض فى وجهى وأنا أعجن السعادة لأجعل منها لعبة تركض فـوق أعصابى فنهرته وقلت : عجبا لهذه العجوز لا بد أنها وقفت فى يوم ما حائلا دون جدى والملذات ليقتلها الألم وتغتالنى اللذة . ما بالها تصل إلى المضارب السـرية .

أنا الآن فى الجنة فما بالها تتدخل وهى فى نار ألمها تتلظى .

ونفيت شبحها وأنا أقفز على أكوام السعادة ومع ذلـك فلم أجـد وقتـا للفرحة . تجاذبنى الضحك والبكاء فما دريت لأيهما أنتمى . ما دخلت صالونا فخما قبل الآن وما أراه كان حلما فـ « **الأبهـة** » كلمـة ليس لها مدلول فى ذاكـرتى .

ولكنى أحسست أنى أحقر من بعوضة وقعت على خد صورة « الجوكوندا » وأردت أن أقول شيئا . وهل فى عقلى غير قضية الديك . وجدتى المريضة وصوت أمى المبحوح . وكلمات الرجل حفيد صديق جدى . وقبل أن أشرع فى ثرثرتى ألجمنى صوت ذلك الملاك الساحر وقالت بتغنج محبب وهى تصب لى مشروبا يشبه فى لونه الشاى « الأحمر » فى كأس رقيقة أشفقت عليها أن تتلاشى بين أصابعى الخشنة .

ـ اشرب لعلك تصبح قادرا على الكلام .

قالت بأنفة مفتعلة أدارى حرجى :

ـ ليس فى عاداتى شرب الشاى .

ومررت يدها البضة على شعرى الأشعث ، وقربت وجهها منى حتى كدت ألتجىء للصياح والنجدة . وأحسست بأنفاسها تصـل إلى أبعـد نقطـة فى جسدى فأيقنت وقتها أننى سأموت . وسأموت الآن طبعا ودون إمهال شربت كأسى وعلى مضض كتمته أدخلته إلى جوفي فأحسست بعده بحاجة إلى المزيـد وفعلت وتكرر ذلك مرات .

وسمعت نفسى أتحدث فأقول كلاما لم أتعلمه من قبل ، وكأن شخصـا آخر كان يتحدث نيابة عنى وانفتح لى باب الضحك واكتشفت أنى قادر على اكتشاف النكتة المناسبة . وأن يدى قادرة على الوصول إلى أماكن أعلى منهـا بكثير . وحضر وقتها طيف جدتـى المريض وصوت أمـى المبحـوح والديـك

المنقوط فضحكت بصوت عال ومددت كلتا يدى أطوق ذلك التمثال المصنوع من السحر والنور . ودفنت شفتى . دفنت رأسى . دفنت جسدى ونفسى فى العسل القرمزى . وما شعرت إلا وباب المحدع يغلق ومن خلفه ماتت الأسرار لتدفن فى صحراء قلبى وفى مقابر النسيان من الذاكرة . ولم يبق هناك غير نور أحمر خافت بددته أشباح الفجر وصيحة أول ديك يؤذن بـه . « تبـا للديكـة » قلت فى نفسى وأنا أضع رجلا خارج الجنة ومـا خطـوت إلا بعض الخطوات حتى تلقفنى ذلك الرجل ، الرجل الذى كان جده صديق جدى والذى نبت فى بيتنا دون أن يزرعه أحد .

وقبل أن أجن من المفاجأة سألنى :

ـ هذا أنت أيضا . أما زلت تبحث عن الديك . أو لم تبرح مكانك . لقد عرفت أنك لن تبرحه . اسألنى أنا فالفتنة متنزه يا حفيد صديق جـدى . لقد كانت هذه القرية ملكى . وهذا البيت الذى قذف بك كان هو أيضا لى . وأشياء أخرى كنت أملكها ولا أعلم عنها شيئا . وهـا إنى أصبحت لا أملك شيئا فحتى نفسى لم تعد ملكا لى . لا أدرى إن كنت أنا الذى أضعتها أو هى التى فعلت ذلك .

أسأل جدتك إذن لم يسبقك الموت إليها لكن لا تنس أن تقول لهـا : إننى أورثتها البيت .

لا تقل : إن الاموات لا يرثون الاحياء . استبدل قلبك الذى عـاش هـذه الليلة بقلب آخر يجهل أحداثها والا ...

ودفعنى من طريقه برفق ومشى بأسرع مما توقعت . وما دخلت على أمى حتى كانت أظافرها فى وجهى واذا هى تصيح :

ـ قتلتها يا أبن الاتان . تامرت مع المرض على قتلها . سوف اقتلـك قبلهـا أو بعدها على الاقل فأين الديك .

قلت متلعثما : الديك لقد لقد ...

وفتحت جدتى نصف عينها المغمضة وأشارت بأصبعها ان : لا . وسقطت يدها فاذا هى قد غادرت . ولا أمل فى الرجعة .

التـابعي الأخضـر

رادس فى 8 / 9 / 1985

يحـي محمـد

الظفـــر بالقمـــر

كان ذلك فى يوم من أيام العسر الاكبر !٠

كان ذلك فى ساعة من ساعات الامل الذى ضاع ، أمل العثور على الخبـز بعد غروب الشمس ، وقد أوصدت أبواب الدكاكين ، والمدينة بدأت تقـص حكاية الجوع الذى عاد بعد غيبة طويلة ٠٠٠

ماذا جرى ٠ فى هذه اللحظة بالذات ، أتعود الى الذاكرة ، كم خزنت فى صندوقها من خيوط العنكبوت ، خيوط باهتة فى الظـل ، تمـلأ الشـوارع والازقة بتأرجحاتها وتقلباتها المختلفة ، تذكر مليا كيف استقبلت النبأ ، تتبعت الرواية وقد تغيرت مشاهد الركح بسرعة فائقة ، تصفح بكل ثقة وجوه الاثارة بطبعها الموصوف بالتقتير ، لكن يا «عادل» سوف لا تظفر بالقمر بسهـولة ، لانك تريد كل شىء يتحقق فى لحظة ما ، وقد صادف أن عشت حتى رأيت ما يبث من أنباء ، وما يترعرع تحت السطح ٠٠٠ كان ذلك منذ أن تعلمت التوقف بمحطة القطار ٠٠٠

كنت هنا ٠

تسافر حيث شئت ٠٠

هل يمكن لك أن تتذكر وأنت بصدد الخروج من المدينة ، أتفزع من النبأ والامر بدأ يتشعب جديا ، طبعا قد يثير فيك هذا ردود فعل عاصفة ٠ فى النهاية ومن زاوية كتمان هذه الردود الدفينة تقول للترويح عن النفس : «ليست هذه أول تجربة عنيفة أعيشها مع النباء ، فى الشـوارع والاسـواق ، فى مقـاهى النخبة ، انها قصة طويلة جدا ٠٠٠» ٠

ازدحام الناس فى محطات القطار ، الحافلات ، سيارات الاجرة « تاكسى » و ٠٠٠ المترو الخفيف دخل الحلبة ايضا ٠٠٠ ازدحام يصور لك الزهور قد

ذبلت فى المدينة ، فى الحدائق . وتتعاظم الذكرى حين تعود بك الذاكرة يا «عادل» الى مدينة أيام زمان ... قد ترفض أن ترى الوجوه فى مرآة صافية ، تسلك أنت طريقك دون أن تتعثر ، يسلك هؤلاء وهؤلاء ... لا دخان ولا سعال ولا طاقة !.. كان ذلك فى زمن الحلم المقطع .. زمن الخيال الخصب !

ـ سنتان ونصف ، بل ثلاثة ، أربعة خمسة الى ما شاء الله أن تمر دون أن أراك تجوب الشوارع بحثا عن القمر .. شوارع الحى الذى طردك ...

ـ لكن . ألا يذكرك مظهرى هذا بشىء ما ..

ـ أذكر أنك ما زلت تعيش تناقضاتك حتى لا يفلت منك واقعك الذى بقى فى الدرك الاسفل ...

... أجل . غير أنى مازلت أحتفظ بقامتى الوسيمة ، وثيابى البيضاء ، ووجهى الاسمر ، وقد امتلكت أشياء جديدة ، مثل السيارة والتلفزة والفيديو، وآلة الغسيل التى تدار بالزر ، وجسمى قد امتلأ بعد ، تغيرت ملامحى ، أأكل «الياغورت» أحب الرياضة الكروية الى حد الطفرة ، والتجول فى شارع بورقيبة مساء والجلوس بمقهى «باريس» وقراءة المجلات الوافدة «سيدتى» «العالم العربى» «التضامن» «الايام» «الليالى» ... ومن أخرى أفضل الا أتحدث عن السياسة بالمرة .. لكن السياسة الضائعة فى الوهم ، فى عنان السماء ... اليسارية منها واليمينية وحتى المتوسطة أو بين بين ، لا هذه ولا تلك ... أذكر لنفسى فقط ، أخذت اراجع الذاكرة .. أين هى ... ضاعت هى الاخرى مع الخبز المفتش عنه فى الاصيل ، ولا أمل فى العثور عليه حيا يرزق ، اذ قد يباع ويشترى فى السوق السوداء ، من يدرى ... لعله هناك ، فى هذا الدكان المغلق سوى نافذة صغيرة جدا يطل منها وجه منكمش متدرب على الاختفاء فى أيام العسر ، ملاحظة بسيطة . قد لا يشبع الجائع فى ذلك اليوم ، عن لجوعه أن يطول ، وأن يتحلل بالعطش لهذه الدرجة يرحل الانسان عن البساطة أو تغيب عنه ، لكنك يا «عادل» ما قرأت على ملامح وجهك حقيقة حاجتك ، اذ من المفروض أن يكون لك موقف ما ، حتى يتقشع صمتك ، وتقذف بخيالك وسط القاع الدفين ، فتهرب بك الايام والليالى ببرودة أعصاب متناهية تنسى فيها روحك ، والنباء الذى هرع ، ثم تحس أنك قد بدأت تتغير لا سيما قرارك بالزواج فى أسرع وقت رغم أن والدك كان يعارضك هذه الزيجة المهرولة ، وابنة خالتك «ليلى» تصر على رأى والدك ، فكيف ستتصرف .. وأنت تعيش

عصر الغفلة لا عصرك الذى ولى عنك !• تذكر •• شبابك الغض ، طفـولتك البريئة ، كل النقاط البيضاء التى ابتدأت بها سيرك فى الدنيا ، والامواج التى تدفعك اليوم كانت تدفعك بالامس ، فتحتمى بالكبار والصغار مـن أجـل أن تبقى هنا فى هذا المكان بالذات ، وقد تأكدت منك الآن •• ثم يتدفق صمتك ويلفك لفا ، حتى الجريدة حين تتصفحها تبدو لك مقلوبة ، مهزوزة الى فوق ، فتقطع المسافات الفكرية حتى تذهب بك الى «الربع» الخالى •• قبـل قليـل كنت تتأوه ؛ لقد فزعت من الصحبة ، من النفاق الذى تشعب •• أنـت يـا «عادل» لا يجوز أن تجامل من الآن ، من يدرى • قد يعد هذا من علامات عجزك، وبشىء من الخجل عليك أن تتغير مثل هؤلاء ... طبعك المتميز لم يعد من قبيل الاوصاف المرموقة ، تغير كلما سنحت الفرصة بذلك ، كلما كنت تنتظر الحافلة والقطار وتتأمل الوجوه فى مقاهى المدينة •••

تذكر •• هذا الرهط الذى يتعالى ، هذه الصحبة المتقلبة المزوجة بالخلط ، لقد شاهدت الصفوف تلو الصفوف وكلها رفوف فوق رفوف ، تتصفح ظلها فى المرآة ، كان فى لون الحجارة ، والقذارة ، شتائم وهمهمات نفاق تطرح على الارصفة ، فتحرقها الشمس ، فتتأهب يا «عادل» للانقضاض ••• لكن الى حين ! يشدك الخبر اليقين ، وأنت تسعى ، تلاحق الايام والليالى ، تغير بدلتك ولا طاقة لك فى تغيير وجهك ، وأنت تجلس على كرسى خشبى بحـديقـة «البلفيدير» الغناء بعيدا عن الاضواء والاتجاهات تسلل من الضباب ، ونسمات خريفية تبحث عنك ••

من زمن بعيد كنت تتذكر صورتك دون أى محتوى ، خالية من أى برقع ، فى مدينة صافية ليس بها غير عربات زرقاء تجرها خيول تسير ببطء محبب الى النفس ، اين أنت الآن منها ، والصغير يتعـالى من هنـا وهنـاك ودخـان الشاحنات المازوطية يحتضنك فى كل وقفة تقفها أو خطوة تخطوها ، وسرداب السيارات والدراجات النارية ، وناطحات الاسمنت تطحن فى الشوارع وأزمات المرور فى شوارع المدينة فى اوجها ، والناس سكارى وما هم بسكارى !•• حتى الاشجار تبدل لونها ، والشوارع تحكى صولة الحروف المسودة والاوراق المقلوعة •• اذن • انت هنا تلاحقك الايام والليالى وقد انقطعت عن الخبر ، عن الاخبار التى تثور نحوها بموقف خاص ، وخزان ذاكرتك قد خفت •• اذ تعودت المشى فى شارع بورقيبة كل مساء ، أو التوقف بمحطة المترو الخفيف،

فتتابع بنظرات متقلبة تلك الحركة المتلاحقة ، المترو حذو محطة القطار بساحة برشلونة وقد اختلط كل شيء بلون السكة ، وانهمكت وحدك تفكر وأزيـز فرامل السيارات يقلقك ، وردود فعل السواق فى أشد الاوقات وأحرجها ...

اذن . على كل حال سوف تتعود بهذا التغيير !

أجل . كنت فى كل مساء أتابع حركة المرور فى حديقة «برشلونة» أشاهد زحمة القطار ، قطار الاحواز الجنوبية ، وتجمع الحافلات قابعة تحت أشجار كثيفة ، والطوابير طويلة الى أبعد حد ، كل يدفع بالآخـر وكـأنهم فى يـوم الحشر ... «نفسى نفسى لا يرحم من مات» !... وفى الجانب الآخر رهط آخر من الناس يفاتح المارة بالاقبال على شراء «السلاسـل الذهبيـة» بأبخس الاثمان .. «عجائب وغرائب» وحارس الحديقة يتجول بين المقاعد وكأنه يخاف على الاعشاب المخضرة من الزحف الآدمى ، فيكثر من الاشارة بيديه الى هذا او ذاك وبكلام غليظ احيانا ... وبائع الجرائد فى المحطة رجل كثير الابتسامة، حاضر النكتة ، فهو يردد : الامل فى «العمل» ... اخبار ملاح فى «الصباح»... الاحلام فى «الايام» ... الاسرار فى «الانوار» ... اجـل .. والآن .. هل ستكون المحطة حاضرة بهذا الشكل ، سنرى ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انقضت السهرة فى الحديث الفارغ ، وعرف (عادل) من كلام صهره أنه من تركيبة خاصة ، ترعرع فيها الى الثمالة ، فماذا يترجى منه ؟ قال لـه بالحرف الواحد : أنا لا أحب الدخول والخروج بأى شكل من الاشكال ، زوجتك هنا حتى موعد زفافك ، تفهم عواطفى وقد رحالتى الاجتماعية والتربوية ... لا أحبذ التجوال ، ولا السينما ، ولا قضاء السهرات فى نوادى الشبا ب، و ... و... و...

عرف (عادل) صهره بالضبط بعد ما انقضت الايام فى البحث عن ـ الخطبة ـ حيره أمره ، وحتى أمر اصدقائه أولئك الذين ما جال بخاطـرهم لحظـة أن الاوضاع أصبحت بشكل مغاير لتصوراتهم ... اما هى ، الطالبة فى الجامعة، فاجتازت المناظرة بنجاح ، غير أن مناظرتها الاخرى بقيت معلقة .. يخجلها أن يظل والدها وجملة من جلاسه وخلانه يحيطون به كالاخطبوط ..

ترى هل من نهاية لهذه الصحبة المزوجة بالخلط والضجيج ... تتأهب با «عادل» للانقضاض ، على من هذه المره ؟.. يحير دائما النبأ الذى تستمع اليه من الاذاعة فى نشراتها المختلفة ، ونسيت اذاعة «قالو» ؟ وهذه تبث أخبارها على موجات عديدة بعيدا عن التقنيات العالمية الجيدة ، فهى متعودة بالتسلل وراء القضبان والضباب الكثيف ...

كان ذلك فى ايام العسر .

كان ذلك فى ساعات الغضب الذى يتفجر فجأة .. كان ذلك حين اوصدت ابواب التفكير ساحاتها العظيمة ، وتوقفت ساعة التغيير عن النبض والحس عند بعضهم ! تذكر الحكاية من اولها ، وبدأ يكتب القصة من آخر مشهد تأثر به ، انطلاقا من رغبة تحقيق كل الاشياء دفعة واحدة ، من لحظة الترقب فى المحطة الحافلة بالضجيج وتأزم المرور فى المدينة ، وخزان الذاكرة الذى يتأثر بكل ذلك ، من المسؤول عن ذلك ، البلدية ايضا ، هذا كثير فى حقها ... عند ما يعود الضوء الى اشعاعه السالف ينير الشوارع والازقة فى كل الاحياء وحول كل الدكاكين . عندها ماذا سنقول فى حق البلدية يا «عادل» سافر الى هناك ... تأمل الناس ، علاقاتهم ، لا شك ستلاحظ مدى التفاوت . وعندها يلفك صمت دافق ، وبرودة ساحلية تشعر بها تدغدغ شرايينك ... حاول ان ترى الناس من قرب ، ترى الشباب فى اوج عطائه ، رغم قساوة الطبيعة وتغير عوامل الطقس ، فهناك تقاليد أخرى ... جرب هذا فى محيطك ... لا يمكن لك أن ترى بعين واحدة ، حاول ان ترى بعينين ثاقبتين ... لاحظ مدى التفاوت ... لاحظ ... لاحظ ... بعد فترات تظفر بالقمر ويسهل عليك التحدث مع الكواكب السيارة ، مع «عرب سات» و «عجب آت» مع أبى اختراع ، بعين لا تعرف النوم ولا أن ترفض التعامل مع النور .. لكن .. عليك أن تعيد النظر فى الذات يا «عادل» أن تزداد قربا من معاصرة التحدى، تحدى النفس والتقاليد البالية ، والتشويه المتعمد ، عليك أن تعرف خاصيات النشرة الاخبارية ، والقرصنة الجوية وتحويل الطائرات والبواخر ، وقساوة المخترعات المدمرة للبشرية فى حمام الشط ، وفى كل مكان ... تود الزواج من ابنة خالتك ، سماعك بالمعيدى خير من أن تراه ... ما دمت قد اردت فارادتك تقف عند هذا الحد . ان الظفر بالزواج أسهل عليك من الظفر بالذات ... لا ... لا .. ينبغى ان ترى الاشياء على حقيقتها ... أن ترى

العالم هذا الذى يسود فى لحظة ويبيض فى لحظة ، ويحمر فى لحظة ·· الايام تتوالى وانت اعرف الناس باسرار التكنولوجيا ··· عليك ان تغوص فى خطبتها قبل ابنة الخالة ، ارجىء التفكير فيها الآن ·· والى حين · سترحب بذلك حين تصارحها بحقيقتك ··· حاول أن تعرف سر القرصنة الجوية ، وتشويش الرادارات ، وأوضاع الطائرات فى الجو العالى ، لا تنشغل بعشيقتك السمراء ، فهى هنا تنتظر فوزك العاصف ، المسيطر على كل الانباء العالمية !·· وطبعا · بعد العودة أو عندها يحضر لتوديعك فى المطار كل المهندسين الاكفاء الذين أشرفوا على تخصصك بمهارة ، تذكر يا «عادل» المواقف السلبية ، والدم المتجمد فى العروق ، والاهانات المكتسبة بعرق الجبين الى حين ··· ومحاولة التملص من الغوص فى واقع الشباب اليوم ، وأنت واحد من هؤلاء ، ممن أثارهم الغضب تارة والفرح تارة أخرى ··· تذكر حمام الشط يا «عادل» قبل نفسك تذكر البحر المغدور ، والامواج الساكنة فى ذلك اليوم ، واللون الاحمر القانى الدافق ، والاسلاك الشرارية المتراقصة ونحن كالبله ننظر دون أن نعرف ما هى اللعبة السماوية الآن ··· لعبة الفضاء المقوس ، تذكر كيف كان الظفر عند هؤلاء وتصرف !··

غرة اكتوبر 1985

يحي محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فارس الظلام

مجموعة قصصية

المؤلف

يوسف عبد العاطى

الثمن : 2،000 د. ت. أو ما يعادلهما

ترجمة : أبو بكر العيادى

قصـة : يشـار كمـال

البعـــوض

حشر حسن يديه فى كومة القمح البارد حتى مرفقيه وأبقاهما برهة ثم أخرجهما . كانت ليلة من ليالى جوان الخانقة وكانت النجوم الصغيرة والكبيرة تشق الظلام بين الفينة والاخرى كالسيف وهى تنساب متتالية .

وقف حسن عند رأس زوجته المنبطحة على أرض البيدر البـاردة ، وقـد أطبق صدرها العارى على التراب وأنفاسها تلاحقـه مثـل كيـر الحـداد . على بعد خمسين خطوة منهما يمتد حقل الارز الاسود حتى التل المقابل وتنبعث منه رائحة المستنقع ندية ثقيلة ممتزجة برائحة الاعشاب البرية .

تقلبت المرأة على أرض البيدر من جانب الى آخر فاغـرة فاهـا متنفسـة بصعوبة وتقطع .

جلس حسن قرب رأسها وكان البعوض فوقهما مثل غيمة سوداء . تعبت المرأة من ضرب البعوض ولم تعد يداها قادرتين على الحركة . كان جسدها مزروعا باللسعات لان ملابسها لم تحل بينها وبين البعوض بينما كانت يدا حسن تتحركان فى الهواء وعلى فخذيه وصدره بلا انقطاع .

قـالت المـرأة :

« حسن ، حسن ، تعبت يداى من ذب البعوض .. وتمزق جسدى » .

تمرغت فى التراب طويلا ثم تمطت قائلة :

« أوه ، أوه ، انى أموت » .

أخذت تحك فخذيها وعجيزتها وصدرها كانها تنوي تمزيقها :

« ليتنا متنا وتخلصنا من هذه العيشة . ما هذا . لنذهب الى البيت » .

رد حسن : « نذهب ! ولكن هل تعتقدين أن البيت أفضل ؟ البعوض هناك أكثر » .

قالت المرأة : « اننى أموت . ما هذا ؟ » .

أسند حسن صدره ، الى كتف المرأة قائلا :

« سيسرقون القمح سيأخذونه كله » .

ـ ما العمل اذن ؟

ـ ما العمل ؟

لطم حسن جبينه بقوة وقال :

« أوه ، كانها تغرز ابرا ، لقد تلطخت يدى بالدم . يبدو انها امتصت دما كثيرا » .

ثم مسح يده فى سرواله .

قالت المرأة :

ـ ما رأيك يا حسن لو أزحنا التبن وانحشرنا فيه ؟

ـ سنموت من الحر .

ـ لكن ان بقينا هنا فسيفترسنا البعوض .

ـ ماذا نفعل ؟

صاحت المرأة بغضب :

ـ العمى لمن أوجد البعوض . ليعش مشلولا زاحفا على الارض ان شاء الله.

ـ نحن نتحمل منه الكثير .

ـ ابحث عن حل يا حسن . لن أتحمل حتى الصباح . لقد تورم وجهى .

لم تتوقف يداه . كان يلطم جسده بلا انقطاع .

ـ لا بد من تجفيف هذا الحقل . لا بد من تجفيف جميع حقول الارز .

نبشت المرأة كومة التبن بسرعة ودفنت نفسها فيها ولما لامست برودة التبن جسدها ارتجفت ثم نادت : « تعال انه بارد جدا . تعال واحشر نفسك » .

اقترب منها حسن وقال :

ـ ولكنه محرق .

ـ والبعوض ؟

ـ اخرجي وسترين .

كانت المرأة مدفونة فى كومة التبن حتى رقبتها وهى تحرك يديها حول رأسها :

ـ لن ادع البعوض يدنو من رأسى .

ـ سترين .

بدأ العرق يسيل من جسد المرأة والقش الملتصق بلحمها يخزها ويلسعها.

ـ يا لها من برودة داخل كومة التبن .

ـ سترين .

اعتدلت المرأة وقالت :

ـ ليس ثمة رجل واحد فى القرية ... أنتم جميعا رجال بالاسم فقط . رجل يأتى من « مرعش » ويحول السهل كله الى مستنقع .

ـ حوله لان لديه المال .

كان القيظ على أشده داخل كومة التبن وبدأت المرأة تحس بالاختناق وهى تصر أسنانها وتود أن تقفز خارج الكومة وحسن يروح ويجيء أمامها .

ـ تعال يا حسن البرودة داخل الكومة كالثلج . تعال . سيفترسك البعوض .. قلت لك تعال .

ـ هكذا أفضل .

ـ تعال . رجال أقوياء ... لم ينج أحدكم الحمى . لقد أضعفت الناس جميعا . تف ! تبا لرجولتكم . تعال وادخل .

فكر حسن برهة ثم أزاح التبن فجأة وحشر نفسه داخل الكومة . شعر بالنداوة فى البداية .. ثم ..

كانت المرأة على وشك الاغماء ، فاغرة فاها وتتنفس بصعوبة .

ـ تبا لرجولتكم . أكان بامكانه أن يزرع الارز هنا لو كنتم حقا رجالا ؟

ـ نعم لان خاله يسانده .

ـ لقد عجزتم حتى عن رفع مظلمة الى الحكومة تشرحون فيها أن أهلنا وصغارنا تفتك بهم الحمى ، وعجزتم عن طلب ناموسية . الرجال الذين مثلكم يستحقون الموت . لو كانت لنا ناموسية الآن ...

قفز حسن من كومة التبن فجأة وهو يقول :

« لقد مت . احترقت . كيف تتحملين هذا ؟ »

لم تنبس المرأة بكلمة .

« داخل كومة التبن قائظ كالجحيم ، فليهلكنا البعوض هنا ... »

كانت المرأة مرهقة . وكان قش التبن الملتصق بجسدها يحرقها حينما يلتصق بلسعات البعوض واختلطت رائحة العرق والمستنقع برائحة التبن .

« تبا لرجال هذه القرية جميعا . تعال وأخرجنى من هنا عوض أن تظل واقفا » .

ما ان خرجت حتى تمددت على التراب : « يا لبرودة التراب ! » . وما هى الا لحظات حتى بدأ البعوض يطن فوق رأسها .

« أوه ، أوه ، انه يعض كالكلب . كل بعوضة مثل كلب مسعور » .

أخذت تتمرغ على أرض البيدر وتصيح :

ـ لتمت رجولتكم . لو راجعتم الحكومة لحصلتم على ناموسيات من المرعشى خفتم كلكم من المرعشى الذى لا يتجاوز طوله شبرا واحدا ..

ـ لم نخف . ولكن العمدة أخذ منه رشوة .

ـ بل خفتم .

ـ كلام المرعشى نافذ المفعول فله من يسانده لدى الحكومة .

كان حسن لا يتوقف عن حك فخذيه العاريتين بالتراب . اما المرأة فأخذت تركض وتصيح : « انه يتبعنى حيثما ذهبت ، حيثما ذهبت ... » ولما أعياها الركض والصياح جلست وأرخت يديها الى جانبيها وقالت : «ليأت ويفترس» وظلت هكذا برهة دون أن تتحرك .

ـ المرعشى هو الذى انقذ مختطف « اليفا » من يد الحكومة . كان شكرى المعتوه قد حطم الابواب والنوافذ وأخذ « اليفا » خلفه على حصانه الى سهل سيرانغيج . لقد أنقذه المرعشى .

ـ لان شكرى المعتوه يفيده .

ـ لم يشتك أحد منكم الى الحكومة . اغتصبت حقولكم وأصيب الجميع بالحمى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان ردفا المرأة المستلقية أسودين معتمين ومكورين فى الظلمة . وكان حسن لا يزال يحك فخذيه العاريين بالتراب . أخذ يسرع فى الحك وعيناه فى الردفين المكورين . احتضن التراب الساخن فترة من الزمن ثم دنا من المرأة بتوان وأخذ يمرر يده فوق ردفيها فانتفضت المرأة وتدحرجت الى الركن الآخر.

ـ يا امرأة !.

ـ هل جننت يا رجل ؟

اقترب منها زاحفا . وكان التراب ساخنا على لحمه والشهوة تسرى فى عروقه .

قالت المرأة : « هل جننت ؟» وتدحرجت ثم اردفت : « يكاد النعاس يقتلنى » .

زحف نحوها .

« لقد افترسنى البعوض » .

كانت يداه على الردفين تداعبهما باستمرار . همست المرأة : « أوه ! » . أطبق عليها حسن . ولم تحاول الخلاص منه .

كانا غارقين فى العرق على أرض البيدر . وسحابة من البعوض تطن وتحلق فوق رأسيهما . وكان الجو ثقيلا ودبقا والظلام حالكا ونقيق الضفادع ينبعث من حقل الارز .

مسك المرأة من يدها وأنهضها . كان التراب تحتها رطبا ومتطينا من العرق .

قال حسن : « غدا سأراجع الحكومة . سيجففون حقول الارز هذه كلها » .

أبو بكر العيادى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(*) ولد يشار كمال فى قرية من قرى اطنة الواقعة جنوب تركيا سنة 1923 ونشأ يتيما فقيرا . فاضطر لمزاولة كثير من المهن حتى عمل مراسلا لاحدى الصحف المحلية ونال شهرته كصحفى . ثم دخل ميدان القصة القصيرة والرواية . اعتنق الاشتراكية كمذهب اقتصادى وجاءت معظم رواياته تعبيرا عن هذا المبدأ . منذ 1975 واسمه يتردد ضمن اسماء المرشحين لجائزة نوبل . من مؤلفاته : « سيميد الناحل » « جريمة قتل فى سوق الحدادين » « أرض الحديد » .

نـهـــج القـــاهـــرة

ربما لانه أحس بضجيج المدينة فى ذلك المساء البارد ، يلفح الوجوه كالريح العاتية ويملأ الشارع الرئيسى الذى بات يتكلم ويصيح ويصفر ويزأر فدلف الى اليسار حيث نهج القاهرة • كان النهج مقفرا ومظلما الا من بعض الدكاكين التى ما زالت مفتوحة رغم البرد الذى كان يلف المدينة بأشجارها القليلة الهزيلة وحيطانها العالية الوسخة • كان يفكر كيف يختزل هذا المساء الفـارغ وقـد انقضى موعده ، فتوقف وأحس ـ للحظة ـ أن خطوات توقفت عـلى مقـربة منه وترنحت .

استرجع أفكاره وتابع السير فأحس بأن خطوات ما عادت الى السير كذلك وازداد وقعها رنينا ملحا فى أذنيه والنهج مقفر الا من البرد يتجول يقبض على الاكتاف بأيد حديدية تصفع الوجوه تتجمد على ثناياها تدقها كحبـات رمـل الصحراء • أراد أن يلتفت • ولكنه لم يستطع • لقد تخيل عدة مـرات هـذه اللحظة : لحظة يشعر فيها بأن حريته فى الميزان ، لحظة يشعر فيها بثمن حرية التجول هذه والتى سيفقدها بعد حين • وهذه الخطوات وراءه تنقر الرصيف المظلم تدوس أعقاب السجائر وقشور البرتقال الارجوانية التى تتكدس أمـام المطعم الشعبى •

يعاوده الخوف الذى هزه ذات يوم • كان ذلك فى شهر رمضان على ما يذكر• وكان طالبا وسنه دون العشرين • الاضرابات كانت شديدة الوقع فى الجامعة، كان مندفعا آنذاك فاذا به ينساق مع زملائه فى مسيرة ضخمة • وعندما عاد الى المنزل بعد لاى ـ وكانت العائلة تترقب أذان المغرب ـ سمع الباب يطرق طرقا لم يعهده من قبل ـ عندها أحس بوخزة فى قلبه فأسرع ليرى من الطـارق • وواجهه شرطى يسحب أمامه استدعاء للحضور فى الغد • لم ينم ليلته تلك ولم ينم أبواه وحتى أخوه الصغير لم ينم كذلك ـ كانوا يتوجسون خيفة مما سيقع . وفى الغد ازدادت مخاوفه وهو يتجه الى بناية القسم الضخمة ، المبرقعة الحيطان•

كان مرتعش الرجلين فهما لا تحملانه وهو لا يحملهما لانهما تثقلان ، تثقلان وكأنه يشق كثبانا من الرمل • عندما أدخلوه الى ذلك المكتب الضيق بدواليبه الحديدية التى تقف مع الحائط أحس بخوف آخر خوف يجعله يتسمر على الكرسى ويترقب ماذا سيفعلون به • تنحنح الكاتب أمام آلته الراقنة بينما تهاطلت عليه الاسئلة ، متتالية سريعة ومدوخة :

ـ ما اسمك ؟

ـ أين كنت البارحة •

أين كنتم تجتمعون ؟

هل شاركت فى اعداد المناشير ؟

هل وزعت شيئا منها ؟

وكان يجيب بكل صدق واذا افتقد الكلمة نطق بها السائل ويتبعه هو كالمشدوه وترقن كلماته ويحس بحياته الخاصة وأفكاره الخاصة ، أحلامه تتعرى لتتدفق بين طيات تلك الاوراق وتصبح مؤرخة واضحة حتى من الروابط تربط الجمل والحيثيات تكثر تتداخل تسطو على الاشياء المبعثرة تنظمها وتجعل منها ورقة رسمية

الآن يتذكر مدى كبر احساسه بالحزن وهو يترك ذلك المبنى البارد ليعود من حيث أتى بعد أن سمع ما سمع وقال ما قال •

يستعيد شريط يومه ، لم ير أحدا اليوم . اليوم لم يتشاكس مع أحد . أسنانها صغيرة ومسطحة ـ يتوقف ينظر اليها وهى تحرك ساقيها العاريتين رغم البرد ويشعر بالخطوات تتوقف • فيما تأخذ دقات قلبه تدق صدره بسرعة وكأنها تريد الخروج من قميصه ، دقات قلبه تملأ أذنيه ولكنها لا تمحو نقرات الخطى على الاسفلت •

يستعيد شريط يومه . لم يرا أحدا اليوم . اليوم لم يتشاكس مع أحد .
ولم يتجول بتاتا اليوم • كان على موعد مع آمنة • ولكنها لم تأت • لماذا لم تأت ؟ لو أخذه ؟ كيف ستعرف ذلك ؟ ستنشغل عليه كثيرا ، انشغالها على قطتها وعصفورها الكنالو ، الذى ان بات ليلة فى الفيرندا أصابه زكام وانقطع

عن الغناء • ستغزو دمعات أليفة عينيها الحالمتين ستشوش رؤاهما المبتكرة • هكذا كانت آمنة • وهو يحبها لاجل تلك الرؤى المبتكرة ولاجل قطتها ولاجل عصفورها الكنالو الذى يخشى البرد • وصل الى دكان بائع الخضر • كانت مساحة الضوء المنبعث من الدكان تمتد حتى ترتطم بآخر الرصيف • هناك توقف . كان يريد الالتفات وراءه ولكنه أخذ ينظر الى الغلال أمامه وقد اختلطت ألوانها وبهتت • فرك يديه فى حركة عصبية وهو ينظر فى بلاهة الى ابتسامة بائع الخضر . وفجأة سمع الخطى تجرى ، تجرى . واذا بساقيه تتسمران أمام الصناديق الحبلى ، وهفهفة المعطف بجانبه تتركه ، تتعداه ثم يتوقف الرجل • يرفع باقة معطفه الصوفى ويدس ذراعه خلسة تحت ذراع شاب كان يسير أمامه ، يجبره على التوقف فى حركة جد سريعة • كان يرى شطر وجهه: أسمر له شاربان سوداوان وعينان كبيرتان ثم رآه يلكز الشاب بمرفقه ثم رآه يلطمه المرة الاولى والمرة الثانية فيما سمع من قرب صغير سيارة ذات لونين متنافرين ورآها تحط قرب الرصيف فى قزقزة فرامل ولهاث عجلات •

صاح الشاب : خذ هذا الرقم ... اطلب فاطمة أخبرها ! كان بوجهه فزع وبعينيه فزع وفى صوته فزع لا يوصف ، وكان سنه لا شك دون العشرين ! وانصفق باب السيارة فجأة ، وضاعت وسط الظلام •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان واقفا فى بقعة من الضوء على حافة الرصيف يبحلق فى الظلام ، ويتنفس بصعوبة وأتاه صوت بائع الخضر يقول : هؤلاء الشبان رؤوسهم من حديد المطارق ...

عندها أطلق العنان الى رجليه ودلف الى أول طريق متمتما : فاطمة ! ا سمها فاطمة يجب أن أخبرها بهذا الرقم ، ولكن ماذا ؟ هذا رقم آمنة ؟ آمنة ؟ فاطمة ؟ هو ؟ أنا ؟ أنا ؟ هو ؟ ما الذى حدث بالضبط ؟ هذا الشاب أعرفه اننى أعرف وجهه وصوته . اننى أعرف خوفه ... ما الذى حدث بالضبط ؟ لا أدرى كل ما أعرف أننى أشعر بالخوف ، وهذا المساء الفارغ يحاصرنى ... وانطلق يجرى حتى ابتلعه المنعطف •

نافلة ذهب

مجتمـع التحـولات
من خلال « مدينة الشموس الدافئة »
للكـاتب محمـد البـاردى

تمهيـــد :

إن كثيرا من الكتب عندما تصدر ، يكون حظها من التعريف والحضور لدى القراء لا يتعدى الايام الاولى من صدورها ولهذا أصبح مـن الضرورى المزيد من التعريف بالكتب وتشجيع الابداعات الفنية ماديا ومعنويا ، على أن ذلك لا يكون ممكنا الا بالقضاء على صعوبات كأداء تحول أحيانا دون تحقيق ما نصبو اليه من ذلك غياب الحركة النقدية فى حياتنا ومعاناة الاديـب النفسيـة والمادية فكرا ونشرا ولا أدل على ذلك من تجشم الاتعاب الذى عاناه الكاتب محمد الباردى فى نشر هذه الرواية على نفقته الخاصة اذ أصبح موزعا ومروجا وبائعا وقابضا ..

فما عسى والحال تلك أن يكون موقـف الكاتب المثقف الـذى ضحى بحياة العقل والقلب والنفس ووقف عليها جهده ؟ ما عسى أن يكون موقف الكاتب من مشكلات الحياة حتى تعرض للناس وما عسى أن يكون محور هـذه المشكلات وهذه الصراعات . ذلك ما سنتبينه من خلال تقديمنا لهذا الاثـر الادبى الذى يتمثل فى « مدينة الشمس الدافئة » .

جسديـة الكتـاب :

هى رواية صغيـرة الحجم تقـع فى حوالى 100 صفحة فى طبعـة من النـوع الصقيل ، وقد طبعت فى الشركة العامة للطباعة والورق بصفاقس سنة 1981 وهى باكورة انتاجه .

وتحتوى على 17 فصلا بدون عناوين فرعية وكل فصل يتراوح بين أربع وعشر صفحات .

إن العنوان يحمل أكثر من معنى ، بل أكثر من رمز فهناك توق الى الـدفء يغمر شعور الكاتب ، توق الى الشموس الدافئة التى تمثل مدينتـه « قابس » مدينة الشمس والقبس وينطلق من هذه الصورة ليصور توق الانسان الى النور واستجلاء حقيقة الوجود فى خضم تحولات تعيشها المنطقة خاصة وتونس عامة ـ اننا أمام صورة مدينة تصاب بالتلوث فى أول نهضتها كالفتاة البكـر تسلب عذريتها فى عز الشباب ، وعلى الغلاف صورة امرأة شابة تدخـن أو وضعت السيجارة فى فمها غصبا ربما هى صورة رمزية للواقع الجديد الـذى تعيشه المدينة والذى لا يقبل بسهولة وفى الاسفل مخلوقات بشرية كثيـرة تتجاذب أطراف ثوب الفتاة تعلقا أو تملقا أو خدمة أو عشائرية مكبوتة عرفت بها الجهة قديما ، وبجانب الفتاة صورة معمل يمثل الآفاق الجديدة ويجسم فكرة الصراع بين الجديد والقديم أو العتيق (وهى كلمة يكررها الكاتـب 33 مرة) وتختم صورة الغلاف بشمس حمراء وهاجة .

ان اختيار لفظة « شموس » ألذوقعا عـلى أسماعنا مـن الشمس وربما لأن الكاتب سيفصل الشموس الى مظاهر كثيرة .. فى عصر يتسـم بالصراعات وتحتدم فيها المتناقضات وانعكس هذا النور (الشمس) على المجموعات البشرية فحددت علاقاتها وتولد داخل الفرد ثنائية الواقع والمثال بيـن أنماط التعليم والمفاهيم وطوفان المجتمع الاستهلاكى .

تبدو الرواية عند أول ـ قراءة ـ بسيطة البناء تسير فى خط متواصل يسرد خلاله الكاتب مشاهداته فى شكل لوحات متفاوتة الشكـل والمضمون تعتمـد أحيانا على شىء من الرمزية .

تتعايش فى هذه الرواية أجيال ثلاثة :

1) جيل العقلية الخرافية ولها جذور متأصلة فى الواقع .

2) جيل الاب وهو الجيل الوسط .

3) الجيل المعاصر وهو جيل متعلم مناضل فى سبيل قيـم جديدة وأحيانا متناقضـة .

تبدأ الرواية بزيارة الى « ولى صالح » هو سيدى الفناوى ، فهذا البغل وهذه العربة يرمزان الى الزمن المتثاقل الذى لا يريـد التزحزح ، أمـا الشيخ على بن سالم والولى الاسطورة فيمثلان شبح الماضى الملاحق للجديد ، بل أحيانا يعرقل المسيرة ويثقل الكاهل وهو يعيش فى مجتمع متخلف ولعل الكاتب يشير هنا الى مشكلة التراث ومختلف المواقف منه .

ان الولى الفناوى يمثل كل مظاهر التخلف الذهنى والحضارى وسط هذا الحشد من الاشخاص والاشياء ـ كـل هذا تمتلىء به العربـة فى اطار هـذه الرحلة الى سيدى الفناوى الى الماضى ، وسوف نرى أن هذه العـربة سيخـف محملها او حملها كلما تقدمت أحداث القصة أو أشرفت على النهاية وهذا دليل على رفض الجيل الجديد لقيم الماضى .

ان هذه الرحلة ليست ككل الرحلات وهى بداية النهاية ونتساءل مع الكاتب ما بال هذه الرحلة كئيبة ؟

لعل مظاهر الكآبة تتمثل فى غياب الابن الاكبر الذى كان بتونس للدراسة ، أما الام حليمة فتبدو متثاقلة سلبية تخلصت من بعض عاداتها القديمة كطهى الشاى على العربة وهى تسير ـ أما البغل فهو يئن متعبا ، يرمـز الى نهاية عهد قديم هو عهد المدينة العتيقة المتآكلة وهو أحيانا يذكرنا ببغل المسعدى فى دوره السلبى ويبدو الكلب والعجل وهما يلهثان ، الكلـب لا يعض والعجـل هـو الفدية لسيدى الفناوى وتسترعى انتباهنا طقطقةالعجلات رمز الوسائلالبدائية اما الاطار فيبدو مناقضا لصورة الكآبة التى توحى بها العربة ، يقول الكاتب :

« ارتفعت الشمس الى كبد السماء ، شمس ربيعية وسماء صافية تعلنان ميلاد فصل جديد رغم قطع سحاب قليلة متناثرة هنا وهناك » . فهذا الاطـار يوحى بتجدد الحياة والتفاؤل الذى يغمر الكاتب رغم كل شىء .

لعل هذه « البانوراما » تمثل الصراع بين الجديد والقديم ، فمن ناحية هناك على بن سالم وزوجته حليمة وامه الحاجة منوبيـة ومن ناحيـة أخـرى فاطمـة ورشيـد :

« متى نصل اليك يا سيدى ويا جدى »

هذه العبارة تقابلها عبارة اخرى :

« ما لنا وهذه الرحلة ؟ »

ان الزيارة تروق للبعض ، ويرفضها البعض الآخر ويتحدد الموقف من العادات والتقاليد : « نحن أغنياء بجدنا .. يا دنيا يا كلبة .. بنات الفناوى يخرجن الى الشارع ويذهبن الى الليسى ..

ان على بن سالم قليل الكلام فى هذه الرحلة ولكنه من حين لآخر يشير بقرب الوصول ، بقرب الخلاص من هذه الرحلة الشاقة ، ان خلاصه يتمثل فى الاخلاص للفناوى الصالح ، شىء واحد يسيطر عليه هو رؤية سيدى الفناوى وارضاؤه ويلوك كثيرا كلمة « صبر » .

وفى المقابل تبدو شخصية الابن رشيد مهملة مشاكسة ، لا يعتنى بدراسته وهو يمثل نوعا من شباب المدينة الذين يغلب عليهم الكسل اما لرزق جاهز أو غايات أخرى مثل السياحة أو المعامل التى تغرى شباب المدينة وتدفعه الى هجرة الغابات والنخيل وهى هنا مشكلة تتجاوز الاطار الضيق . ويمر الكاتب فى تضاعيف روايته الى نقد شباب المدينة .

« الشارع والسجائر والخلطة السيئة وكراهية الجد .. » أى العادات والأصالة .. ان هذه الرواية من الادب الواقعى ، الملتزم بقضايا تمس واقعا معينا هو واقع مدينة تعيش تحولا على جميع الاصعدة ، تحولا قويا من مجتمع زراعى بدائى تقليدى الى مجتمع صناعى عصرى لم تكن مهيئة له ان هذه الصورة تنطبق على المجتمع التونسى ككل والذى يعيش هو نفسه تحولا واضحا ان الباردى فى روايته يعتمد على غرار أدباء الواقعية على سرد الاحداث فى تسلسل الصورة والمعنى وهو أحيانا يحاكى الحياة مما يدل على عمق التجربة رغم حداثة الابداع فى مجال الرواية ولعل ثقافة الاديب القصصية والمطالعات المتنوعة قد ساهمت فى اثراء هذا اللون الذى اختاره الكاتب لافكاره ولحسن التمييز بين الواقع الموضوعى والتصور الادبى والخيال الذاتى ..

وفى هذه الرواية يطرح الكاتب مفهومه للواقعية على أنه تصور لعلاقة الفرد بشريحة من المجتمع ينتمى اليها فهى تحدد حياته وتصرفاته وتطلعاته ـ فهذه

الرواية أعدت صاحبها اعدادا ثقافيا فكريا أهله للتعبير عـن مشكلات مجتمعه وصراعاته ـ فالباردى حول **معاناته الذاتية** الى أدب قادر على كشف الواقع كشفا احتجاجيا يبشر بواقع اجتماعى وفكرى جديد ، بل احيانا نجد تصادما فى ذات هذا الاديب بين الواقع والمثال وهو ما يجسم مأساة المثقف فى المجتمع التونسى خاصة والمجتمع العربى عامة ـ فما هى مظاهر هذا التصادم ؟

نلاحظ أولا الجذور الاجتماعية والارتباطـات العائلية وموقف الاجيـال منها وهى ما طرح فى رواية « بيت العنكبوت » .

ثانيـا : الافكار وتوق الى حياة أفضل (مثلا شخصية عبد الله وفاطمـة) وهى قضية طرحها مصطفى الفارسى كذلك ومن قبل فى « المنعرج » .

ثالثا : التحولات الاجتماعية التاريخية (الواقع المحلى فى روايتنا التى نحللها) وهو ما طالعناه فى « الجسد والعصا » لمحمد الهادى بن صالح .

رابعـا : شبح الماضى (وهنا شبح الجد) وهو ما رأينا فى « الرحيل فى الزمن الدامى » أو فى « أولاد حارتنا » و « موسم الهجرة الى الشمال » .

خامسـا : النضال النقابى ونجد صدى له فى « مدينة الشموس » فى خضم الحديث عن أحداث جانفى 1978 ..

وهى مواضيع رأيناها مع اختلاف الاحداث التاريخية فى « يوم من أيام زمرا » و « الدفلة فى عراجينها » الخ ..

ثم يتطرق الكاتب الى الصراع داخل الاسرة فتبرز العلاقات بيـن مختلف الشخصيات بين اتحاد أو تقابل أو تنافر .

ان الولد الاكبر فى الاسرة يحظى بتبجيل خاص فهو نائب ابيه وهو أسطورة العائلة المتجددة ـ تقول حليمة مبجلة ابنها الاكبر : « النجاح للعزيز عبد الله ليس لك أنت » وهذا الشعور يدفع الام الى تذكر عبد الله عندما كان يذاكر حتى الفجر .. وفى الحاضر تتصوره وهو غريب فى تونس بيـن قسوة المدرسين والامتحـان .

ويشعر رشيد بصراع داخلي ، مكبوت : « مالك تذكرينني فى كل مرة بالأخ الأكبر .. » فأخوه فى تونس « عاصمة الاغنياء » أما هو فعرق الفهم على حد قوله لا يريد أن ينبض فيه ثم هو يحدد موقفه من أساتذته : « هـم يرطنون بكـلام لا أفهمـه .. »

أما فاطمة فتتساءل لماذا لا تتمتع بما يتمتع به الفتى داخل الاسرة ؟

« بنات الفناوى لا يعرفن المدارس ؟!..

ويستعرض الكاتب تنطع الفتيات فى المجتمع الجديد : « البنـت المجنونـة تدخل المعهد وتثور علينا .. »

وبعد الحديث عن مهرجان الفناوى ووصف الولائم و « البنادير والدفوف » فى ثلاث صفحات كاملة ، ولعل الكاتب خصص لكل يوم صفحة كاملة .

وبعد هذا الاستطراد المثير ، ينتقل بنا المؤلـف الى بعض مواقـف الشباب المثقف من العادات والتقاليد فى حوار يدور بين فاطمة وهشام عبد الستار .

ان فاطمة تجسم الصراع بين الفتاة وواقع الاسرة والاسطورة . ثم يربط هذا الصراع فى ذهن المثقف بقضية الانتماء العشائرى فى المدينة .. فرغم زوال الاسباب فان الصراع بين شقى المدينة يتخذ أحيانا اشكالا أخرى .

ولا تغيب عن المؤلف مشكلة المذاهب التى انتقلت الى المعاهـد واختلافات التلاميذ حول بعض المسائل : الطاهر الحداد أهو نصير المرأة عـند البعض أم هو عدوها عند البعض الآخر ـ ويكون السؤال الجوهرى : ما هو الحل ؟ وكيف التوفيق ؟ وهذا التساؤل ينعكس على مختلف قضايا المجتمـع التونسى الذى يواجه عديد المشاكل التى تنتظر الحلول .

فى خضم هذه المتناقضات تعيش جملة من الانماط النسائية ، فالمـرأة عند الباردى تعيش تناقضات عديدة ، فهى تشعر بالحصار وتحلم برفع القيد وهى ان كانت تختلف عن أبيها وأمها (فاطمة مثـلا) فى تعلقهـم الاعمى بسيـدى الفناوى فانها تستمد شرفها وعزتها منه وهى وان كانت تحب أخاها عبد الله

وتحترمه لأنه يقف الى جانبها ويشجعها على مواصلة دراستها فانها لم تجده وقت الشدة يوم أحبت وأرادت تقرير مصيرها وهى وان كانت فى صراع مستمر مع أخيها رشيد المشاكس والعنيد فانها لم تجد سندا سواه زمن المحنة ، وهى وان كانت تحب هشام عبد الستار لتعلقه بها فانها قررت أن تبتعد عنه عندما ضحى بدراسته من أجلهـا .

أما هشام عبد الستار هذا فهو يشارك فاطمة فى هذه التناقضات فهو « زير نساء » ان صحت العبارة وهو « البلاى بوى » الذى يصدمه الواقع فيبطحه أرضا ويصطدم بالعداوة التاريخية الموجودة بين شطرى المدينة .. فهناك بعض المواقف السخيفة لهذه الشخصية .. من هذه الناحية ..

وتساهم محاكمات جانفى 1978 فى تداعى العلاقات بين الشخصيات وكذلك بعض المواقف السياسية .

وهذه المواضيع لا نجدها بكثرة فى الادب التونسى وقد أتى عمر بـن سالم فى « دائرة الاختناق » بما يصور هذه الازمة والعمال فى فترة تاريخيـة معينة ويلمح الباردى الى بعض المواقف أو الاحكام فيأتى الاسلوب جافا مفتعـلا مليئا بالشعارات : تحسين الوضع ـ قضية التنصيب النقابى ـ الخ .. ان الباردى « السياسى » يلاحق الباردى « الاديب » مما جعل الاديـب أحيانا يسقط فى التقريرية والتسجيلية ، وقد قال أفلاطون قديما :

« ان السياسة تشتغل بالادب » .

وما يمكن قوله هو أن أفكار الكاتب السياسية تغلغلـت تغلغلا عمليـا فى نسيج الاثر الادبى فغدت ـ أحيانا ـ بنية تكوينية واحيانا رموزا . واذا انتقلنا الى عبد الله وجدناه يمثل الجانب العمالى المثقف فى الرواية فهو الـذى كان يناقش مواضيع الحرية والديمقراطية والعدالة فى الكليـة ولكنـه فى نفس الوقت هو ذلك الشخص الذى يجلس بين ستائر « الموسلين » فى مكتبه الرفيع ذى الكرسى المتحرك . وهو أيضا مدخن السجائر الامريكية وصاحب السيارة الجميلة وهو الذى يتنكر للمنزل العتيـق فيختار العيش فى أحيـاء قـابس « الجديدة » كمظهر من مظاهر التحول .

وهو يمثل فى القصة المثقف الانتهازى : « فاتـرك يـدك نظيفة وفكـر فى مصلحتك قبل كل شيء .. » .

وقد لعبت شافية الحريرى وسامية البلدى دورا رئيسيا فى انبتات عبد الله ، فالاولى « بلدية » والثانية « حريرية » وهما تمثلان نمطا آخر من الحياة انساق فيه عبد الله فنسى النمط « العتيق » .

وتنتهى الرواية على مشهد مألوف ، مشهد العربة والعجلات التى « تطقطق » والبغل يئن .. ولكن الجديد فى هذه الرحلة هو أن زيارة سيدى الثناوى يقوم بها الاب والام وحدهما وفى ذلك دلالة كبرى :

« وتلوح قبة سيدى الثناوى كالبيضة المهملة » وهذه الجملة تشير الى أن التحول قد بدأ ...

وينبح الكلب مرة ثانية ، وتواصل القافلة رحلة التغيير .

ان هذه الرواية رغم الشكل الكلاسيكى هى دعامة جديدة للادب القصصى فى تونس وهى جديرة بالنقد والتمحيص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دبيـه دبيـه

قـــابس

مصحة عقول الحمير

نور الدين بن بلقاسم

همس لى صاحبى وأنا واقف أمام المصحة :

ـ لا تفعل ما أنت مقدم عليه ٠

فقلت له بلهجة حادة :

ـ لقد صممت !

كلمنى ملحا ناصحا :

ـ تمهل وفكر مليا فليس بالامر الهين ما أنت مقدم على فعله !

أجبتـــه بلا مبالاة :

ـ لقد درست قرارى جيـــدا ٠

أضاف صاحبى بلهجة حزينة :

ـ انك ستصير لا شىء !

فأجبته وأنا أدلف الى بهو المصحة :

ـ اننى سأرتاح على الاقل من هذا العناء ٠

بقى صاحبى خارج المصحة واقفا مشدوها لا يتحرك كالتمثال ، ووجـدت نفسى داخلها ٠ كانت المصحة واسعة كبيرة تمتد من مراكش الى البحرين ؛ فكدت أتيه فيها لتنوع استراحاتها ، ومظاهر البذخ والثراء فيها ٠

استقبلنى جيش من المرضين والممرضات ، كانوا كلهم يرتدون لبـاســا أبيض قد احمر من كثرة تراكم الدماء عليه ؛ وكانوا كلهمفى حركة دائبة ، يخالهم الرائى يعملون وهم لا يعملون ، فبعضهم يدخل غرف المرضى ويخرج ، وبعضهم يتطاهر بتسجيل أسماء القادمين ، الجـدد ، وبعضهم يتراءى حامـلا صررا وضعت فيها أدباش الذين استبدلوا عقولهم واستعدوا للخروج ...

مسكنى ممرضان من ذراعى ، وجرانى الى كبير الاطباء ، قـال لى الممـرض الاول :

ـ يجب أن تقابل الطبيب الآن ، فلعل حالتك خطيرة تستوجب الاسـراع بالجراحة ٠

وقال لى الممرض الثانى :

ـ ان الطبيب الآن يأخذ استراحته ؛ فقد زرع عقل حمار فتى لرجل سبقك بساعة ٠

أوقفانى أمام طبيب منتفخ الاوداج ، سالت كتلة لحمية من أسفل لحيته ، وبانت عيناه من خلف نظارتين سميكتين خاليتين من المعنى ، وقد أحـاطت برقبته سماعة تتدلى على صدره لا كسماعات الذين عرفتهم ، انما هى شبيهة بجهـاز انصات .

بعد أن ترشـف الطبيـب رشفة مـن كأس قهـوة موضـوع عـلى طاولـة ملطخة بالدماء أمامه ، رفع رأسه وحدجنى بعينين غائرتين وسألنى بصـوت غليظ مزعج :

ـ أين تشكو المرض ؟

قلت له :

ـ فى عقلى يا دكتور !

قال فى غير اكتراث :

ـ صف لى أعـراض المرض !

قلت له :

ـ أول الاعراض أننى لا أنام فى الليل أحيانا ٠

فسألنى من جديد :

ـ أتشكو من خلل فى الدماغ ؟؟

أجبته والالم يقطع أعماقى :

ـ عقلى يا دكتور مثل الشاشة يستعرض الحـوادث والاشيـاء ، فيحللهـا ويؤولها ويقلبها على وجوهها ، ويقارن بين تلك الوجوه ، ثم يضع الاحتمالات

ويفترض الفروض ، ثم يتوقع النتائج قبل حدوثها ، ثم هو لا يقتنع بما يصل اليه أحيانا ، فهو عقل متعب ، قد أرهقنى وأخشى أن يجلب لى متاعب أكثر !

ـ متاعب ؟

ـ نعم متاعب !

ـ من أى نوع تراها ؟

ـ كأن يسوقنى هذا العقل الى حبل المشنقة !

ـ كيف تتوقع ما لم يقع بعد ؟

ـ ان النتائج من جنس المقدمات ؛ فقد أفقدنى هذا العقل شهية الدنيا ، لانه يضع أنفه فى كل شىء فيها !..

ـ ماذا تعنى بهذا القول ؟

ـ أعنى أن عقلى صور لى الدنيا مقلوبة بنظمها وطرائقها وقوانينها ...

ـ هذا غريب وخطير !

ـ وقد جعلنى هذا العقل ـ يا دكتور ـ أرى الفعل البشرى دوائر مكررة متشابهة تفضى نقطة البداية فيها الى النهاية .

ـ هذه أعراض وعى قديم ؛ فهل يجعلك هذا المرض تتخذ مواقف وتتمسك بقناعات ؟

ـ نعم !

ـ مثل ماذا ؟

ـ قادنى هذا العقل الملعون الى قناعة وهى أن الذين يرعون الحرية هم الذين يذبحونها غالبا ، تقربا الى آلهة الظلم والشهوة !.

ـ لم أفهم ما تعنيه بهذا الهذيان !

ـ أعنى أن الحرية اذا كانت مقيدة أو صورية فلا ابتكار ولا جديد ولا وعى ولا علم ٠

ـ يا له من مرض خطير استفحل فى مخك !٠٠ يجب أن تجرى عليك العملية الآن !٠

سأل أحد المرضين :

ـ أفى هذه الساعة يا دكتور ؟؟

ـ نعم الآن !٠٠ ان سرطان الوعى قد انتشر فى مخه ٠٠٠ ان عقله قد صار أخطر من قنبلة ذرية ٠٠٠

مددونى فوق لوحة العمليات ، وجاء المختص فى التبنيج فوقف حذو رأسى ٠٠٠

قال الدكتور لاحدى المرضات بصوته الاجش فى لهجة آمرة :

ـ هاتى من بنك عقول الحمير واحدا ٠ والتفت الي الدكتور سائلا :

ـ أتفضل عقل جحش أم عقل حمار مسن ؟؟

قلت له وأنا أغمض عينى استعدادا للتبنيج :

ـ ليس هذا مهما يا دكتور ، المهم أن ارتاح من هذا العقل الذى يعذبنى !

قبل ان يشرع الطبيب والمبنج فى عملهما حدثت ضجة وسمع اضطراب وصراخ وخبط على الابواب ودق أقدام على الاسفلت ، فخرج الطبيب والمبنج والممرضون للاستطلاع ؛ وقمت من فوق لوحة الجراحة وتبعتهم لمعرفة الامر ٠

رأيت فى بهو المصحة الواسع الممتد من المغرب الى المشرق أولئك الذين استبدلوا عقولهم قد انقسموا الى شيع ؛ ثوريون تقدميون ومعتدلون ومتفرجون

أما الثوريون التقدميون فقد اعتلوا منصات وجعلوا يشهقون وينهقون وهم يظنون أنهم يخطبون وبخطبهم ينجزون ؛ وأما المعتدلون فقد انخرطوا فى رقص

يشبهه رقص المآتم وشرعوا فى غناء يشبه نواح الثكالى وهم يظنون أنهم يبنون... برغم أنهم يبدون خائرين.. وأما المتفرجون فلم يستقرون على اتجاه، فهم متذبذبون بين هذا الفريق وذاك ... فتارة ينهقون ويشهقون ، وتارة يرقصون رقصة المآتم وينوحون ...

وما لبثذووا عقول الحمير أن اندفعوا يكسرون ويحطمون كل ما فى المصحة من طارف وتليد ، وشرع الذين سموا أنفسهم بالثوريين يرفسون كل من يقترب منهم ويؤذونه بالعض والركل ... فكسروا بذلك بعضهم بعضا وكسروا مأواهم ...

أحسست بتقزز ، وبغيظ شديد يهز أعماقى ... فقلت فى نفسى وأنا أشهد ذلك الاضطراب وذلك الخليط الهائج :

ـ لا شك أننى بعد استبدالى لعقلى سأكون مثل هؤلاء !

فلملمت أثوابى ، وهربت بعقلى مسرعا ؛ فوجدت صاحبى ما يزال واقفا أمام المصحة متألما لما سأكون عليه ، فلما رآنى فرح وسألنى :

ـ أغيرت رأيك ؟؟

فقلت له وأنا أهرول فى الطريق :

ـ ان ما رأيته أقنعنى بأن عذاب العقل أفضل من راحة البهائم !..

وسمعت بعض الناس يقول ساخرا وهو يشير الى المصحة :

ـ هنا يبدلون عقول الناس بعقول الحمير لكى يكون الناس منتمين !

قرنبالية فى 1985/10/12

نور الدين بن بلقاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد الخموسى الحناشى

ومـــات ثـائـــرا شهيـــدا

مات والده وتركه رضيعا لم يبلغ بعد مرحلة الفطام ، ولم يخلف له شيئا من متاع الدنيا سوى بضع قراريط لا تسمن ولا تغني من جوع .

وقبل أن يكمل عامه العاشر لحقت أمه بأبيه تاركة إياه يجـابه مصيـره وحيدا فى هذا العالم الواسع الموحش . كانت أما عطوفا حنونا يفيض قلبها حبا وحنانا ورحمة لا يذكر أنها ضربته أو عنفته ولو مرة واحدة . لم تكن تبخل عليه بما فى يدها . وكانت تحرص على تلبية كل رغائبه فى حدود قدرتها . وكان يحبها حبا جما بكل ما فى قلبه الصغير من نبض واحساس . كانت له الأم والأب والأخت والصاحب فى نفس الوقت . وبرغم أنه لم يكن يعرف أباه فقد كان يكره ويحقد عليه لكثرة ما سمعه عنه من كلام سيء من شيوخ ونساء القرية ، إنهم لا يفتأون يرددون عنه دائما بأنه كان رجلا حاد الطبع أنانيـا حسودا حقودا سليط اللسان ، لا شرف له ولا ذمة . وأكثر من مرة كان رجب يجد نفسه مدفوعا الى سؤال أمه عن مدى صحة ما يردده اهل القرية عن أبيه ، وهل صحيح أنه كان يسيء معاملتها ويقسو عليها بالضرب أحيانا ؟ فكانت تكتفي بالقول :

ـ الله يرحمه كان رجلا صعبا .

لم يجد رجب بعد رحيل أمه من يحتضنه ويرعاه غير عمته الارملة العجوز التى كانت تعيش وحيدة هى الاخرى بعد وفاة زوجها . وهو زوجها الرابع فقد تزوجت ثلاث مرات من قبل وطلقت بسبب عقمها .

كانت العمة العجوز ككل أنثى تحب الاطفال ، وقد عاشت عمرها كلـه تتمنى أن يكون لها ولد يملأ عليها فراغ حياتها القاحلة الجرداء . تضمـه الى

صدرها المحروم وتغمره بقبلاتها وفيض حبها ، وحنانها . وبعد يأس وطول انتظارها ها هو الله يحقق أملها ورجاءها فى النهاية فى شخص ابن أخيها هذا الفتى اليتيم . كانت العمة أيضا فقيرة كجل أهل القرية لذلك لم يشعر الفتى بأى تحول فى حياته الجديدة . وهو فى الحقيقة لم يكن ينتظر أن ينعم مع عمته بالعيش الرغيد المرفه فهى ليست غريبة عنه ويعرف عنها كل شىء من قبل أن يأتى للاقامة معها . ويكفيه أن يجد فى صحبتها الامن والحب والحنان وهو يعلم أن حاجتها اليه تفوق حاجته اليها فهى امرأة مسكينة وحيدة هرمة أيامها صارت معدودة على عكسه هو فهو فتى يافع ، الحياة أمامه ما تزال طويلة عريضة وغدا يصبح رجلا له بيت وزوجة وأطفال ، وها هى الايام تهىء منه رجلا قبل الاوان ، أليس هو رجل البيت الآن ؟. يعول نفسه وعمته ، يعمل مع الرجال جنبا الى جنب ويتقاضى أجره مثلهم . لقد صار رغم صغر سنه شخصا مهما ، بالنسبة الى عمته على الاقل . وما إن اكتشف رجب هذه الحقيقة حتى أصبح أكثر ثقة واعتزازا بنفسه وأكثر احساسا برجولته المبكرة . كان مستريحا مع عمته غاية الراحة . والشىء الوحيد الذى كان يعذبه ويشقيه وينغص عليه حياته هو موقف أهل القرية منه فهم يعاملونه بكثير من الجفاء والحذر بل الخشونة أحيانا . أليس هو ابن سالم الغول . والحية لا تلد الا حية كما قال له أحدهم ذات يوم . حتى أترابه يتحاشون الاختلاط به وينفرون من اللعب معه لعل آباءهم هم الذين أوصوا اليهم بذلك . ويوما عن يوم كان حقده على أبناء قريته يتعاظم وكرهه لهم ينمو ويتجذر فى أعماقه ، كما ازداد كرهه لأبيه . أليس هو من حكم عليه بأن يشقى فى الحياة صغيرا ؟.. فارق الدنيا غير مأسوف عليه من أحد بعد أن ورثه الفقر والبؤس وكراهية الناس واحتقارهم له ونفورهم منه . ثم بتخطف الموت عمته وبموتها فقد العين الساهرة على راحته وهنائه ، والصدر الحانى الذى كان يرتاح اليه وينفث فى دفئه همومه وأحزانه ، ويهرع اليه كلما اشتد ظلم الناس له وتجهمت الحياة فى وجهه . ومضى يشق طريقه فى الحياة وحيدا . ومرت الايام والسنون. وتزوج من فتاة حسنة الخلق والخلق من أسرة بدوية حلت بربوع القرية منذ بضع سنوات ، وأقام بها بعيدا عن الناس بكوخ نصبه عند عدوة الوادى الكبير الذى يمر بأرضه . ويواصل مسيرته الشاقة فى الحياة ، يعمل أجيرا عند فلان آياما وأياما أخرى لدى فلان ، يحرث الارض ، يقيم الحواجز لحفظ مياه الامطار ، يقطع الاشجار البرية ، يحفر الآبار ، يحصد ويدرس ، ينهض بكل الاعمال التى تعلمها وخدمها منذ الصغر . وكثيرا ما كانت تمر عليه الايام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاسابيع دون عمل كان يقضيها بدكان القرية الفقير صحبة أمثاله من العاطلين يلعبون الورق ، ويشربون الشاى ، وينهشون لحم هذا وذاك من أهل القرية . لقد علمه الناس كما علمته الحياة أن يكون صارما استفزازيا متهورا لا تأخذه شفقة أو رحمة بأحد ، لا يتردد فى أحيان كثيرة فى استعمال يديه أو عصاه للرد على خصومه ومناوئيه .

ذات يوم تشاجر مع أحد أعيان القرية بسبب عمل أوكل اليه القيام به . أغلظ له الرجل القول وعرض به وبأبيه أمام جمع من الناس ورد عليه رجب ردا قبيحا وانصرف غاضبا دون أن يأخذ منه أجرته عن ذلك العمل الذى لم يكمله وقد أظهر له فى نفسه شرا . وظل يتربص به الدوائر الى أن علم ذات يوم بطريق الصدفة بعودة قافلة له من وادى سوف محملة بأكياس الشاى وورق التبغ . لن يجد مناسبة أفضل من هذه المناسبة للانتقام من خصمه . فكر فى الامر مليا ، تردد بعض الوقت هو يعلم أنه يضر الرجل ضررا بالغا اذا هو استجاب لما توسوس به له نفسه . وكلما هم بالتخلى عن فكرة الانتقام منه تذكر إهانته له ، وتعريضه به وبأبيه أمام الملأ . إنه رجل نذل لا يثمر فيه الاحسان لقد صار على ما هو عليه من ثراء بأكله عرق أجرائه وبتحايله على الناس والاتجار فى السوق السوداء أيام الحرب العالمية ثم بالتهريب بعد ذلك حتى سنوات قليلة لم يكن شيئا يذكر . لقد أبطرته النعمة وصيرته وحشا ضاريا لا يرحم ضعيفا . وقد آن الاوان لكسر شوكته والثأر منه لكل أولائك الذين امتص عرقهم واستغلهم أبشع استغلال . سوف تكون ضربة قاضية تقصم ظهره وتذهب بقوته . نعم سيبلغ عنه ، لن يرحمه .

فى المساء توجه الى بيت شيخ التراب وأبلغه الامر . والشيخ رجل سافل قذر معروف بموالاته للمستعمرين والسير فى ركابهم . هز النبأ الشيخ طربا ، برقت له عيناه ورقصت شواربه ، وتحلب لعابه . إنه صيد ثمين يأتيه من حيث يحتسب ، بضاعته كثيرة مهربة . ومخبر جديد . واذا صح ما يقوله الفتى فسوف تكون مكافأته عظيمة ولا شك . وسوف يحظى برضى المسيو رينى المراقب المدنى عنه . قام من توه وأسرج فرسه وتوجه الى مركز الدرك بالمدينة . وسرعان ما حلوا بالقرية وتوجهوا الى منزل المبلغ عنه وفتشوه . ولم يستمر بحثهم طويلا .. ففى كوخ كبير معد لحفظ الاثاث عثروا على المطلوب . حملوا البضاعة فى شاحنة صغيرة وأخذوا صاحبها معهم ومضوا

وسط بكاء النسوة وعويلهن ، وقد تجمع الاجوار ووقفوا يتابعون ما يجرى وقد عصفت بهم الحيرة وانتابهم الذهول .

ومرت أيام . وذات نهار التقى رجب بالشيخ فى الطريق . رحب به الشيخ بحرارة وشكره على العمل الذى قام به وطلب منه أن يزوره بالبيت ليسلمه المكافأة التى منحها له السيد المراقب . وقال له : إن رئيس مركز الدرك مسرور منه ويحب أن يراه . بوغت رجب وانعقد لسانه وودع الشيخ دون أن يقول له شيئا . لقد أبلغ عن الرجل بدافع الرغبة فى الانتقام لا غير . ولم يكن ينتظر أن يحصل على مال مقابل ذلك . قد يكون محقا وقد يكون مخطئا فى ما قام به . لكن ان يتحول الى مخبر للدرك وعين على أهل قريته وذويه فهو ما لم يخطر له على بال . وها هو يصبح فى نهاية الامر عميلا للسلطة الاستعمارية دون أن يدرى . وماذا يمنع ؟. الجميع ينفرون منه ويترفعون عنه حتى لما أراد أن يتزوج لم يقبل أحد منهم أن يصهر اليه . لقد أوصدوا بيوتهم فى وجهه وعاملوه كأنه ليس واحدا منهم رغم أنه ليس أسوأ من الكثيرين منهم . والى متى سيظل يعمل أجيرا لدى هذا وذاك ؟ وماذا نابه من عمله لديهم كل هذه السنين غير العناء ؟ وهكذا وجد رجب نفسه منساقا الى متابعة اللعبة التى أقحم نفسه فيها فى لحظة غضب وتسرع . وحذق اللعبة وبرع فيها . ومع الايام لم يعد يقنع بأن يستمر تعامله مع الشيخ وحده . وقرر أن يعمل باتصال مباشر مع رئيس مركز الدرك على أن يظل على علاقته بالشيخ فى بعض المسائل الصغيرة . وتخصص له جراية شهرية . ويشتهر أمره فى القرية ، وصار رجال الدرك لا يتحرجون من زيارته فى بيته فى بعض الاحيان وكلما اقتضت الضرورة . ويغير أهل القرية موقفهم منه صاغرين حيث أصبحوا يترددون اليه ويحسنون معاملته إتقاء لشره .. وتبدأ عملية المخاض الوطنى . ويعم الشعور بالنقمة تجاه المستعمرين كل طوائف الشعب . وتبدأ المجابهة والصدام . اضطرابات .. ومظاهرات .. حرائق .. اغتيالات .. ثم تندلع شرارة الثورة . ويتحرك رجال الشرطة والدرك والشيوخ والمخبرون . ويطلب من رجب ان ينشط ، وان يجعل من عينيه وأذنيه أجهزة رصد تلتقط كل شاردة وواردة لا تغفل لحظة أو تنام . ورغم الحاحهم عليه لم يحرك ساكنا . كان ضائعا تائها ، الحيرة تمزقه والفلق يقض مضجعه . عاف الطعام وجافاه المنام ، ماذا يفعل ؟.. هل يخون وطنه ؟ ..

وكان رئيس مركز الدرك يرسل فى طلبه كلما تأخر عن زيارته مبديا له تعجبه من تقاعسه وفتور همته معاتبا له ، محرضا له على العمل . وكان رجب يعتذر اليه بأنه لم يصل الى علمه أى شىء من الوطنيين لذلك لم يجد ما يشجعه على الحضور اليه .

وبدأ رئيس المركز يتذمر من سلوكه ويضيق به وكذلك الشيخ . وكان هو يراوغ ويداور كسبا للوقت .

وفى أحد الايام قام رئيس المركز الجديد وبعض أعوانه بزيارته . أوقفوا سيارتهم بعيدا عن البيت كالعادة ولما لم يبرز اليهم التفت الرئيس الى معاونيه وسألهم عن اسمه . ويبدو أن الذاكرة لم تسعف أحدا منهم فاعتذروا اليه فهم مثله أيضا لم يلتحقوا بالعمل بالمنطقة الا منذ أمد قريب . وفجأة صاح رئيس المركز مناديا بصوت مرتفع تردد صداه فى الوادى :

ـ يا كواد .. يا كواد .. يا كواد ..

ويطرق الصوت سمع رجب الذى كان قابعا وامرأته داخل البيت . شعر بهزة تنتابه وهم بالنهوض . لكنه سرعان ما أقلع عن ذلك ومكث جالسا مكانه يصيغ السمع فى ذهول مرددا فى همس :

ـ يا (I) قواد .. يا قواد ..

ويسأل امرأته :

ـ يخيل إلي أنى سمعت نداء فهل سمعت شيئا يا امرأة ؟

تنهدت وقالت :

ـ كأنى سمعت من ينادى : يا كواد .. يا كواد .. وأحسبهم أولائك الكلاب .

أطرق رجب الى الارض قليلا ثم رفع رأسه وقال لزوجته :

ـ اخرجى اليهم وقولى لهم انى على سفر .

(I) القواد فى العامية تعني العميل .

نظرت اليه فى دهشة وقالت :

ـ أأذهب اليهم حقا وأقول لهم : انك لست هنا ؟...

ـ نعم .. هيا عجلي ..

واختلى بنفسه يحاسبها : لقد ورط نفسه وصار جاسوسا لأعداء بلده وبرغم حرصه على أن يظل أمره سرا مجهولا لدى قومه لكن الايام فضحته وهتكت ستره .

وعرف الجميع حقيقته . ولم يزعجه ذلك ولم يثنه عن متابعة السير فى الطريق المنعرجة الوحلة التى اختار السير فيها . بل لم يزده ذلك الا عنادا واصرارا وتمادى فى غيه . أما وقد صار الامر يتعلق بحرية الوطن وسلامته فلا .. كل شيء الا خيانة الوطن . لن يفعل مهما أغروه وساوموه ، لن يستمع اليهم بعد اليومولن يتعاون معهم . حتى ولو سجنوه وعذبوه . إنه لا يحبهم . وما أحبهم فى يوم من الايام لكنه تورط معهم . كان خطأ فادحا منه يجب ألا يستمر أكثر من ذلك . لن يخون وطنه ولو قطعوه إربا إربا .

ذهبت المرأة للقاء رئيس مركز الدرك وأعوانه لتبلغهم بأن زوجها متغيب عن القرية ولن يعود الا بعد أيام . إنها ليست المرة الاولى التى تلقاهم فيها فكثيرا ما جاءوا يطلبون زوجها قبل ذلك الامر الذى جعلها لا تشعر بأى حرج فى الظهور اليهم ومخاطبتهم . إنها لا تطيقهم وتضيق برؤيتهم ولا تحمل لهم فى نفسها غير مشاعر المقت والكراهية .

وتنطلي عليهم الاكذوبة ويولون الادبار . لقد حاولت كثيرا اقناع زوجها بالابتعاد عنهم والتخلى عن التعاون معهم والاقلاع عن الدس لاخوته وبنى قومه والتجسس عليهم والوشاية بهم . لكنها لم تفلح معه وكثيرا ما كانت تصطدم معه بسبب ذلك الامر . كان دائما يصم أذنيه عن الاستماع اليها . وكان ينهرها ويعنفها بل ولا يتورع عن ضربها أحيانا . وكم من مرة غادرت البيت غاضبة الى بيت أهلها لكنها كانت تعود صاغرة فى النهاية من أجل أطفالها الصغار . كانت الفرحة تملأ قلبها وهى تنهى الى أولائك الخنازير نبأ تغيب زوجها . ترى هل اكتشف رجب فى نهاية الامر خطأه وعرف بأن التعاون مع أعداء الوطن خيانة وعار ؟ لعل الله قد تاب عليه وهداه الى صراطه المستقيم. هل ثاب الى رشده فعلا وندم على كل ما كان منه فى الماضى وعزم صادقا على

قطع كل صلة له بذلك الماضى المشوه البغيض . لقد قرر أن يبدأ حياة جديدة ، حياة نقية لا إثم فيها ولا فسوق أو عدوان .

ومرت الايام ، ولاحظت زوجته أنه ما يزال على صلته بالشيخ واعوان الدرك ، يذهب اليهم ويأتون اليه كالعادة . ولاذت بالصمت مكرهة والقلب منها يتفطر حسرة وأسى . وأخذت العلاقة تسوء بينهما من جديد .

وتتعاظم الثورة وتنتشر حوادث القتل والتخريب فى طول البلاد وعرضها وذات يوم يتردد فى القرية بأن عميلا مشهورا بالناحية وجد صريعا بمنزله. وان هى الا أسابيع قليلة حتى يتم العثور على جثة رجل غريب عن المنطقة ملقاة باحدى الشعاب قيل : إنه عميل خطير له قدرة عجيبة على اقتفاء الاثر كانت السلطات قد استقدمته خصيصا لملاحقة بعض الوطنيين المطلوب القبض عليهم . وفى احدى الليالى استمع السكان الى اصداء طلقات الرصاص تتردد فى جنبات القرية الهاجعة الساكنة . لقد قتل الشيخ داخل بيته . ويجن جنون السلطات الاستعمارية وتقتحم فرقة من الجنود القريبة . فتشوا الدور ، أحرقوا ، خربوا ، روعوا النسوة والاطفال . قبضوا على عدد من الرجال ممن يشتبه بأن لهم صلة بالمقاومة . بثوا العيون والعملاء فى كل مكان للتعرف على « الجناة » .

أخذ رجب بدوره يتنقل هنا وهناك باحثا متقصيا . وصار يتغيب عن البيت من وقت لآخر وقد يمتد غيابه بضعة أيام أحيانا . ذات مساء عاد الى البيت فى ساعة متأخرة ، كان جريحا .. الدم ينزف من احدى كتفيه . استيقظت زوجته على صدى حركته وهو يفتح باب الغرفة فنهضت وعلى ضوء مصباح الغاز المعلق بالجدار شاهدته خائر القوى مصفر الوجه ثيابه ملطخة بالدماء هتفت به جزعة :

ـ ماذا دهاك ؟.. من فعل بك هذا ؟..

رد عليها بصوت واهن متقطع وهو يكاد يقع على الارض :

ـ دعينى أستريح بالله عليك .

سارعت بتسوية الفراش له بيدين مرتعشتين وساعدته على التمدد قائلة من بين دموعها وكأنها تخاطب نفسها :

ـ اللوم بعد القضاء بدعة ... كم نصحتك وحذرتك فلـم تستمـع إلي . كنت أعلم أنهم لن يتركوك متى ظفروا بك . ماذا أقول لابنائك غدا والدكم قتله الثوار ؟...

نظر اليها بعينين غائمتين وغمغم فى صوت واهن :

ـ لا عليك ... وهات لى شربة ماء ..

سمع فى الخارج أصوات محركات سيارات عسكرية يعقبها لغط وأصداء خطوات سريعة تقترب ، ويقتحم الغرفة عدد من أعوان الدرك والجنود يتقدمهم رئيس المركز وأحد الضباط . المنزل من غير سور وباب الغرفة كان مفتوحا.

نظر رئيس المركز الى رجب والى زوجته الجالسة عند رأسـه وصـاح فى غضب مجنون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ رجاب ... هو أنت إذن ؟.. لو لم نقتف أثرك ولولا هذه الدمـاء فوق ثيابك لما صدق أحد منا بأنك أنت الذى قمت بمهاجمة السيارة العسكرية . ولا شك لدي الآن بأنك أنت قاتل الشيخ و ...

ولم يدعه رجب يكمل حديثه فقال مجهدا نفسه بأن يكون صوته مسموعا قدر الامكان :

ـ نعم أنا ... فلا تبحثوا عن أحد غيرى لتنتقموا منه .

فينتفض رئيس المركز ويزمجر فى عصبية :

ـ ها أنت تعترف .. حسن .. سوف نعذبك عذابا عسيرا قبل أن نقتلك.

ـ لن تقدروا ..

ـ ماذا تقول ويحك .. سترى .. لقد قتلت لنا الليلة ضابطا وثلاثة جنود . لن يذهب دمهم هدرا . اصدقنى . من كان معك . وأين سلاحك .

ـ لن تعثروا عليه فلا تتعبوا أنفسكم فى البحث عنه . ولم يكن أحد معى .

ـ هكذا .. سنرى ...

وأشار رجب الى امرأته التى كانت فاغرة فاها من الدهشة بأن تبل ريقه فأدنت إناء الماء من فمه أخذ منه رشفة وهمس فى صوت لا يكاد يبين :

ـ الحمد لله .. مرحبا بالـ .. مـ .

وأغمض عينيه وقد مال رأسه على الوسادة وعلى ثغره ابتسامة هادئة .

وصاح به رئيس المركز :

ـ رجاب .. رجاب .

فقال له زميله الضابط فى يأس :

ـ لقد مات وقضى الامر . لقد انتصر علينا حيا وميتا .

نظر رئيس المركز الى الجسد المسجى أمامه فى قهر وانصرف ومن معه وفى قلوبهم نار تستعر ، وكان الفجر ، وتستيقظ القرية على أصداء الزغاريد تتردد فى جنبات الوادى .

محمد الخموسى الحناشى

قابس فى : 12 ـ 4 ـ 1985

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد المجيد النفزى

رحلـــة هـــادئـة (*)

قالت له امه : تزوج يا ولدى ، تزوج ،،، عمرك الآن ثلاثون ،، والشيب قد وخط رأسك ، والصبيان شربوا عمرك شهرا فشهرا ، سنة فسنة ،،، وأوعز ابوه الى صديقه المؤدب فقال له يوما بعيد صلاة المغرب : أنت يا بنى عارف ، ولكنى اذكرك بما قال الرسول صلى عليه الله : مـن استطـاع منكـم الباءة فليتزوج ، وها انت استطعت الباءة ولم تتزوج ، فانت عاص ٠

★ ★ ★

يلهث سى التباسى وراء المليم ولا يصل ٠

كان قد نفر شويهات ابيه وتنكر للثورين والنيـر والاتـلام وانكـب عـلى الدراسة ، بياتا بمعهد مكثر ،،، يدفع التضـامن الاجتمـاعى ربـع اقـامتـه بالمبيت ،،، وتحمل البرد القارس والثلج المجمد للدماء وتعلم التدخين والصلاة وبذاءة اللسان واحتساء الجعة احيانا ،، لكنه كان الوحيد من بين زملائه الفقراء المدرك بان عليه ان يقتلع من هذه الاقامة شهادة يجابه بها الحياة ٠

وسمع سكان جبل برقو ـ ظهر احد الايام ـ بارودا يطلق وامرأة تزغرد ناحية بيدر على الحمادى ، فركب أحدهم حمارا سريعا ، وعاد يذيع ان تخرج التباسى بن على الحمادى معلما ،، ويقال انه سيعين باحدى مدارس الجهة ٠

* * *

وتـزوج ٠

تدحرج يوما من جبلهم الى الحافلة النازلة من مرتفعات مكثر ، فاكلته على شبع ومضت به الى العاصمة ، ثم تقياته ماء حين اوبتها ، وفى يمناه قفة مخيطة

(*) فصل من رواية بعنوان «على بوابة الليل» ٠

الفوهة سلمها له البائع وقد حشر فيها ما تيسر من علك وعفص وسواك وحناء مما يقدم لعرائس البدو ٠

وها هو سى التباسى الحمادى يقاوم الباءة ، ويقسم مرتبه الضئيل بين الانفاق على زوجة خصبة وأسرة فى نمو مطرد ، وبين اعانة ابيه الفلاح على اعالة بعض النعاج والانفاق على هكتارين من ارض وعرة مغلولة اليد ،،، وبين الانفاق على هيأته ، فهو معلم ، والمراد أن يكون حسن المظهر ، والا فما الفرق بينه وبين هؤلاء الصعاليك الجالسين على جدار وضيع فى انتظار حافلة صاعدة الى القصرين ، لعل وجها صبوحا يطالعهم من خلال الزجاج فيختزنوا الصورة لنيوم الموالى ، ان لم يكن فى هيأته ما ينبه لعمله ؟

★ ★ ★

يجد سى التباسى هذه السنة نكهة خاصة فى العودة الى التدريس ، فهو يشعر أنه أكثر وسامة من ذى قبل ٠٠٠ صحيح أن الشعر بدأ ينحسر عن مقدمة الرأس ، وأن جبينه فى اتساع ٠٠٠ قال له سى مجيد العمروسى يوما مازحا : على المسؤولين فى التنمية الريفية أن يدرجوا مقاومة التصحر فى رأسك ضمن برامجهم الانمائية ٠٠ واغتاظ من كلامه ٠٠٠ وانقطع عن الطعام ٠

البدلة وحدها تؤلف هيبته وتعطيه مسحة من وقار ، ورباط العنق والحذاء اللامع ، وعذان الخطان المستقيمان فى السروال ، ينشئان عند الخصر منحنيين مرورا بالركبتين ، وهذه البدلة محببة اليه ٠٠٠ فهى ضيقة الكتفين ، مشدودة الخصر ، تعطيه رشاقة يراها الناظر من الخلف فى وضوح ، والسترة تتماسك من الامام بزر ، يشده ان أراد ، أو يطلقه ، وقد شده اليوم ليخفى جزءا مهما من بطنه المنتفخة شحما وصحة ٠٠٠ والبطن عند الاهل والجيران علامة رفاهة، فأمه تفاخر بها النساء ٠٠٠ وهى عند الزملاء من الحضر ٠٠٠ أو ممن تخلقوا بأخلاقهم واعتنقوا أذواقهم علامة خمول ، واقتراب من كهولة منذرة ، وعتبة للعجز والفناء ٠٠٠ وسى التباسى يستتر على بطنه أو يجاهر بها حسب ظرف المكان ٠

كان فى السنتين الماضيتين يترك الزوجة بالبيت ، فى رعاية أبويه ، ويشارك زملاءه العزاب السكن فى كوخ يكترونه فى ضراحى القرية ٠٠ كوخ من أكواخ

قرية « بنى حازم » حيث المنازل ملتفة كخلايا حيوان مقرور .. وبيـن القريـة والمدرسة ميلان يقطعهما سى التباسى وأصحابه متعثرين فى وعثاء الطريق . والدرجة حينئذ أن تكون السراويل مفتوحة من تحت ، متجر جرة على الوحل ، فيجد المعلمون عناء فى غسلها وكيها بمكواة الفحم الصدئة .

وكان بعض سكان القرية يوفر لهم قوت اليوم مما يكفى لاستئناف الشقاء بعد غفوة الليل مقابل عشرة دنانير يتقاضاها من كل منهم آخر كل شهـر . واستغرب الرفاق أن رأوا سى التباسى ينتفخ جسمه ويزداد وزنه وشهـدوا عنده نشوء بطن ، على ما هم فيه من شظف العيش ، أما هم «فقد دقت هواديهم حتى كأن رقابهم خيزران ، اذا شربوا رأيت الماء فيها أزيرق ليـس يستـره الجران» (*) .

أما هذه السنة فقد آن له أن يغادر ذلك الكوخ المئيم بلا رجعة بعد أن شيدت الادارة مسكنا بالمدرسة قيل : انه يحتوى على ثلاث غرف ومطبخ صغير .

سوف يغادر الكوخ ورائحة العرق الذكرى والاحذيـة المطـاطية والارجـل الوسخة المشققة أصابعها من غسلها بالماء البارد ، اذ لا نار فى البيـت ويقطـن بزوجه وطفليه المسكن المشاد فى رحاب المدرسة ،، سيتمتع هذه السنة بدفء الفراش وحرارة الزوجة وبسويعة حلوة من الكسل الصباحى ، والمـرأة عـلى ذراعه تتنازعه خلال ذلك رغبتان : رغبة فى أن يحب هذه المرأة الودود فى وقت مسروق من العمل وفى القيام بالواجب الذى سكن من أجله هذا البيت ،،، لقد كان فى السنتين الماضيتين يتمثل قول الشاعر مما حفظ :

«الا ايها الليل الطويل الا انجلى .....

(*) تضمين لبيتين لابى العلاء من سقط الزند فى وصف النوق المجهدة فى رحلتها الى الممدوح :

وقـد دقت هـواديهـن حتى كـأن رقـابهن الخـيـزران
اذا شربت رأيت المـاء فيها أزيرق ليس يستره الجـران

والهوادى مفرده الهودة ، وهى السنام ، والخيزران : عود رقيق لين ، والجران مقدمة العنق .

وينتظر أن تخوض الديكة فى حوار وجدل عنيفين ليغادر الفراش ، لما يشعر بتخشت جنبيه من ملامسة اللوح الخشن ومن لسع البرد لمفاصله حتى ليسري فى النخاع ، وقد حسب هذه السنة للامر حسابا ، فاقتنى حشية الاسفنج وما يلزمها من ملاءات بيضاء واغطية .

★ ★ ★

فى ربوع سليانة تستلقى الارض مستسلمة لاشعة شمس لاهبة ... انها أرض منخفضة ذلول ، تحيط بها المرتفعات ... من جهات ثلاث وتحجب عنها الروح .. وتكتم انفاسها اختناقا ، فتتشقق مسام الارض وتجف المياه وتتفصد الاجساد عرقا .. وينشط باعة الماء الساخن يتغنى أصحابه ببرودة حلم ، وينادون اليه العطاشى ، وتسفو الرياح الاتربة المتراكمة فى الشوارع أبدا.. فتصبح الحياة ضنكا ... وها سى التباسى الحمادى وزوجه وذريتهما يستعدون لاستئناف الرحيل نحو قرية «بنى حازم» بعد أن وضعتهم شاحنة... تقيأ فيها الطفلان وأسهلا .

تحتضن « صبيحة » الرضيع وتمسك بابطيها وصدرها وأسانها السفسارى الابيض ، وقد تركت فيه رقعة مبللة من لعابها ما فتئت تتسع .. وقد تلون ذلك اللعاب بما لاطت به ثغرها من خضاب الشفاه واستظلت شجرة صلعاء عرجاء حدباء .. وبجانبها الحقيبتان .. فى حين انصرف سى التباسى الى الجرى ، كالكلب المكلوب .. من هذه الحافلة الى تلك ، ومن هذه الشاحنة الى هذه سائلا فى كل مرة .

ـ ماشى لمكثر ؟

ويكون الجواب فى كل مرة نفيا .

ثم ها هى الحافلة تتهادى مظلمة الجوف ، نافخة فى المنبه وأرجلها الاربع تأكل الاسفلت الذائب ... ورأت صبيحة فى فزع ما اعترى باعة الماء والتفاح والبيض المسلوق من عصبية وما أصاب المنتظرين من توتر ؛ فمن جامع لحزمة دجاج متصائح ورافع لخروف موثوق الارجل يثغو ، ومن مناد لطفل مبتعد يلهو بتذرية الاتربة أو جمع الصفائح الفارغة .

وخاف سى التباسى من مزاحمة الركاب ، وأشفق على طفليه وزوجه ، ونقل بصرا حائرا بين الزوجة تستجمع أطراف السفسارى بأعضائها وتضاريسها ونتوءاتها وتبحث عن يد الطفل ، وبين الحافلة المقتربة كمصيبة منتظرة والمسافرين الهمج المتحفزين .

هذه هى حافلة مكثر ... يقال انها تمر كل يوم فى مثل هذه الساعة وذلك هو لونها المعتاد ... لون عجز سى التباسى عن تحديده بين الزرقة والخضرة يقسمها خطان متوازيان .. فبدت له .. فى ضوء القيلولة الساطع ... مستطيلة .. بزينتها الغريبة ... كبعض الزواحف السامة ... لكنه متأكد من وجهتها رغم أن السائق قد حجب اليافطة الدالة على المصدر والاتجاه .

وكضت صبيحة غيظها وهى ترى بعلها واقفا ينظر الى الركاب وهم يهاجمون الحافلة متدافعين بالمناكب .. لماذا لا ينازلهم فيحتل لها ولطفليه مكانا ... أتستطيع ، والرضيع فى حضنها ، أن تقطع المسافة واقفة ؟ بئس هذا الرجل الضخم المسالم العاجز الكسلان .

والتفت اليها فاستحثته بحركة من رأسها أن اهجم وأنا وراءك فاقترب كارها وألصق بطنه بظهر بدوى مصارع ودفع ، وزاد فى الدفع ، ولا تقدم ، وشعر بمن يدفعه من خلف وعلى الجانبين ، فانضغط واستطال والباب قد غص والحافلة على حافة التقيؤ ، والسائق يضغط على حساس السرعة ، فيسمع للمحرك زمجرة وهدير ، ويلمس للسيارة تحفز للانطلاق وشعر برباط العنق يخنق أنفاسه ، وبلغت أنفه روائح كريهة ، ممزوجة برائحة الزيوت المحترقة والمياه الآسنة الراكدة بين المعبد والرصيف . كانت بطنه هى السلاح الوحيد لفتح الطريق بين مناكب البدو الاشداء ، فدفع بها دفعا أغاظ خصمه ، فعالجه بضربة مرفق فى موضع الكبد قطعت عنه النفس لحظة ، فجحظت عيناه ... ثم استعاد النفس وراح يناضل ... ها هو الآن قد صعد واستوى .. وجال بعينه سريعا يبحث عن مقعد شاغر يرتب فيه العائلة وأسرع يمشى على أصابع قدميه الى آخر الحافلة حيث رأى ضالته .. ولكن شابا غليظ العنق ، مغبر اللمة ... صنفه سى التباسى بين عمال الحضائر قد سبقه اليه وارتمى فيه بثقل .. فاكتفى المعلم بالحوقلة يدير بها لسانا جافا وقفل راجعا ... وارتاح سى التباسى لما رأى طلعة الصبى تصعد ثم تليه الحقيبتان فصدر الزوجة ... واجتمع الشمل .

وسارت الحافلة متلكئة ثم نشطت أرجلها وأسرعت ، واقترب سى التباسى من القابض وسلمه ورقة من فئة العشرة دنانير :

ـ ما عنديش صرف ... وين ماشى ؟

ـ ماشى لمكثر ... زوز تساكر .

ـ هذى ماشية لبوعراه ... قدم اهبط .

وأسقط فى يده . والتفت الى الزوجة فألفاها جالسة وقد أفسح لها ابن حلال مجهول مقعدا .. وسلمت ثديها للرضيع يمتصه فى شبق .

★ ★ ★

بين القافلة الصغيرة المثقلة متاعا وبشرا وبين محطة الحافلات مسافة خمسمائة متر ، وعين الشمس الحمئة جاحظة فى هذا الركب الصغير يدب على الاسفلت الذائب دبيب سرب هزيل من النمل .

يحمل سى التباسى جسده الوفير والطفل على عنقه واحدى الحقيبتين فى يمناه . وتقاوم صبيحة الريح وهى تفتك اللحاف ، كأنما تريد أن تراها سافرة وتحمل بكفها الباقية احدى الحقيبتين وكعبها الواطىء بعد أن تركت منقاره غائصا فى الاسفلت ... سوف يصلون المدينة وسوف يستأنفون انتظار الحافلة الصاعدة الى مكثر .

تذكر سى التباسى أن الادارة لم تخصص له المنزل لانه لم يتقدم بطلب فى ذلك ... كان ينوى أن يحوزه ... بزوجته وطفليه .. فلما يقدم أصحابه .. يكون قد وضعهم أمام الامر المقضى .. فيتركونه وشأنه ويعودون الى الكوخ ... التفت ، واستحث الزوجة على المشى لما انعطفوا يمينا الى المحطة ... رأى الحافلة تنطلق ... ورأى زملاءه العزاب يتجمعون كعادتهم فى مؤخرتها ... يشاكسون القابض ويطلقون النكات البذيئة ... رآه أحدهم فنبههم اليه ... وأشاروا له مسلمين والحافلة تفر بهم الى قرية بنى حازم ... الى المسكن المدرسى الجديد .

عبد المجيد النفزى

محمـد البــاردى

رقصة الخنجر ومدلولها فى رواية :

« الشمس فى يوم غائم » لحناميه

إن المتتبع لتطور الرواية العربية المعاصرة يلاحظ بروز مجموعة من الروائيين المحدثين الذين يمثلون جيلا جديدا هو جيل ما بعد الستينات واذا نظرنا الى « جغرافية » الرواية العربية فى هذه الفترة بالذات نلاحظ غـزارة الانتـاج الروائى فى العراق وسورية بالخصوص . فقـد ظهرت مجموعـة كبيرة مـن الروايات تعلن عن رسوخ قدم عدد كبير مـن الروائييـن (I) لعـل أبرزهـم حناميـنة (2) الذى يعد أحد كبار روائى هذا الجيل الجديد (3) فلئن أصدر روايته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(I) أنظر فى هذا الموضوع ، سمرروحى الفيصل ، ملامح فى الرواية السورية منشورات اتحاد الكتاب العرب (1979) .

(2) ولد سنة 1924 ، من عائلة فقيرة فى اللاذقية ، ظل فى طفولته متنقلا مع أسرته بين المدينة والريف ، تحصل على الشهادة الابتدائية وتقلب فى مهن متعددة منذ صغره اذ هو الذكر الوحيد فى العائلة ، فعمـل مستخدما فى بقالية ، ثم مساعد صيدلى وصانعا فى دكان حلاق . دخل السجن بسبب مشاركته فى مظاهرة تطالب بالاستقلال ثم هاجر الى بيروت بحثا عن العمل سنة 1947 ، انتقل الى دمشق محـررا فى جريدة الانشاء . يعتبـر عضوا مؤسسا فى رابطة الكتاب السوريين ورابطة الكتاب العرب (انظر مقدمة رواية الشراع والعاصفة ـ دار الأداب ـ بيروت ط 3 (1979) .

(3) يعتبره رياض عصمت « عملاق الرواية السورية وأحد أبرز كتاب العرب انه ظاهرة فريدة» الصوت والصدى دار الطليعة بيروت ط1 1979ص202.

الأولى « المصابيح الزرق » سنة 1954 (4) فان رواياته السبع الاخرى صدرت بين سنتى 1966 و 1980 (5) .

ولقد اثارت انتباهنا رواية « الشمس فى يوم غائم » (6) بالخصوص وذلك لبنائها الفنى المتميز واعتمادها الرمز البليغ . فبطل الرواية يعتمد الرقص لكى يعبر عما يبطن من تحد ورفض وحيرة وهكذا يصبح الرقص بالنسبة للروائى لا مجرد فعل أو حدث ينجزه بطله فى أداة من أدواته التعبيرية الأساسية فى الرواية . وسنحاول فى هذا البحث أن نجد مدلول رقصة الخنجر التى وظفها المؤلف خدمة لغرض النص ومعانيه الأصلية . وسنقتصر فى تحليلنا على ما يقتضيه النص ، ذلك أن « وظيفة الجمل المرجعية فى الرواية هى وحدها التى ستفيدنا » (7) ، فالنص يبطن مجموعة ثرية من العلاقات المفيدة التى تتشابك تشابكا يعطى للرقصة دلالتها الفنية الدقيقة .

بيد أن هذه الرقصة وهى ككل رقصة واقعية ، مجموعة من الحركات المعينة يصاحبها ايقاع محدد ، تبطن بدورها شبكة دلالية هى التى نريد كشفها وتفسيرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أثناء الرواية يرقص البطل مرتين وخارج الرقصة اشخاص ينجزون أحداثا ويتخذون مواقف فلنفهم مدلول الرقصة لابد من تحليلها داخليا اى باعتبارها مجموعة من العناصر الدالة وخارجيا أى باعتبار صلتها بالعالم الروائى .

---

(4) حنامينة . المصابيح الزرق ـ دار الكتاب العربى 1954 .

(5) هذه الروايات هى الشراع والعاصفة (1966) الثلج يأتى من النافذة (1969) الشمس فى يوم غائم (1973) الياطر (1975) بقايا صور (1975) المستنفع (1977) حكاية بحار (1980) انظر الثبت الذى أعدته سمر روحى الفيصل ملامح فن الرواية السورية .

(6) ط 1 وزارة الثقافة ـ دمشق ـ 1973 .

(7) تودوروت : الأدب والدلالة ـ مكتبة لاروس ص 13 .

1) الشبكة الدلالية الأولى : الرقصة من الداخل

أ ـ ما بين الراقص المعلم :

يبدو لنا البطل وهو الراوى منذ بداية الرواية يبحث عن وسيلةفنيةيستطيع بواسطتها التعبير عن ذاته وكيانه ، وقـد حـاول فى البدء الموسيقى عسى أن يستخرج « شيئا ما يحسه » ولا يستطيع « التعبير عنه بالكلمات » (8) فانتقل من « المايسترو » الايطالى الى الحلاق الذى علمه ، ولكن المحاولة باءت بالفشل ـ ولما اتصل بالخياط اكتشف نفوره من « الرقابة » ، « وحاجته » الى الحركة (9) وحوله من طالب موسيقى الى راقص يتعلم رقصة الخنجر .

ان رقصة الخنجر هذه ، هى رقصة الخيـاط فهو وحـده يرقصها ووحـده يعلمها (10) وقد وجد فيها الراوى البطل رغبته ولذته (11) رغم تحذير الخياط فالرقصة غريبة عن الفتى وعن « جوه » العائـلى والاجتماعى وقـد تجلب لـه المتاعب (12) .

وهكذا قامت العلاقة بين الفتى الطالب والخياط المعلم ، بيد أن اللقاء الذى جمع بين المتعلم والمعلم ليس عفويا بل هو لقاء حتمية تجربة البحث والاكتشاف لدى الطرفين . فمعلم رقصـة الخنجر ليس مدرس موسيقى فهو لـم يدرس أصول العلم فى المعاهد ولذلك فالرقصة التى يتقنها ويعلمها للآخرين « لانوتة لها » وهو لا يحب النوتات المكتوبة (13) ، فى حين أن الراوى فتى متعلم بقسم الباكلوريا يدرس الفلسفة (14) وهو سيسافر فى نهايـة الروايـة الى بيروت

---

(8) الشمس فى يوم غائم ص 20 .
(9) الشمس فى يوم غائم ص 24 .
(10) يقول الخياط « أنا أهوى رقصة الخنجر وأعلم رقصة الخنجر وكثيرون يتعلمونها » الشمس فى يوم غائم ص 42 .
(11) انظر نفس المصدر ص 24 .
(12) أنظر نفس المصدر ص 85 .
(13) نفس المصدر نفس الصفحة .
(14) نفس المصدر ص 33 .

ليواصل تعلمه كما أن المعلم خياط ووضعيته الاجتماعية لا تفى بحاجياته فالتجأ الى تعليم الرقص حتى يعيش مع زوجته . أما التلميـذ فهو ينتهى الى مرتبـة اجتماعية مغايرة ، فهو ينتهى الى عائلة ارستقراطية تحتـل مكانة عاليـة فى المجتمع تعلم أبناءها « النوتة » وتستأجر « المايسترو » الايطـالى لكى يعلمهـم العـزف .

ومع ذلك فان المعلم رغم بعده عن ثقافة المدارس ، رجل ذو فلسفـة خاصة ومواقف فهو يؤمن بالحياة والحركة ولهذا السبب لا يعتقد فى موت الانسان ما دام حيا (I5) وهو يدرك فساد الوضع الاجتماعى (I6) ويـرى أن الاصلاح مستحيل (I7) وأن التغيير الجذرى هو الحل المناسب (I8) بيد أن هذه الفلسفة أثارت بعض سكان المدينة ومنهم الحلاق الفقير الذى اعتبره تيساد جالا (I9) يثير الشغب فى المدينة ويغرى الشبان (20) .

ان حب الحركة والخروج على الرقابة همزة الوصل بين المعلم و « التلميذ » أو بين الخياط والراوى . فالفتى « جامح النزوات ، شديد الانفعال(2I) ولكن المعلم هو الذى نبهه » الى طاقة الحركة الكامنة (22) فى ذاته فالعلاقة اذن تبقى من ناحية علاقة المعلم بالتلميذ حسب المعنى اللغـوى الدقيق وهى علاقة عطاء وأخذ ولكنها من ناحية أخرى علاقة معلم يبحث ويكتشف بتلميذ يبحث بدوره عن المعلم الذى يفهمه . فقد وجد الخياط فى البطل التلميذ المتميز الذى لا يكتفى

(I5) الشمس فى يوم غائم ص 84 .
(I6) يقول « نحن نغوص فى الوحل ، بطوننا فارغة وجلودنا صفراء وفخارنا لا يمسك ماء ولا يحمل صدقة » الشمس فى يوم غائم ص 66 .
(I7) يقول « لا أمل فى تحسينه ما دامت الفاخورة هى نفسها وصاحبهـا هو نفسه » نفس المصدر ص 65 .
(I8) نفس المصدر ص 40 .
(I9) نفس المصدر ص 247 .
(20) نفس المصدر ص 2I .
(2I) نفس المصدر ص I00 .
(22) نفس المصدر ص 30 .

بالأخذ والاتقان بل يسعى بدوره الى الخلق والابداع ، ولذلك نـراه فى حلبة الرقص يتمرد ويخالف الاوامر ويريد أن تكون له حركاته الخـاصة المعبرة عن ذاته ومشاعره وأشواقه وأن يمعن فيها انعتاقا واحتجاجا وابتهالا وتوكيدا(23) كما وجد التلميذ فى الخياط المعلم الذى استطاع أن يكتشف طاقتـه التعبيرية وحركته الابداعية فلئن فشل « المايسترو » الايطالى فهـو وحده الـذى فهـم مشكلتـه .

فهذه العلاقة ذات قطب واحد إذ ان كل المعطيات الاجتماعية يمكن أن تفرق بين الرجلين لكن حب الحركة وحده هو الرابط القوى الـذى يشد الرجل الى الفتى .

الحـــركـــة

المعلـــم ⟵ التلميـــذ

خيـاط ـ جـاهل ـ فقيـر ⟵ تلميـذ ـ متعلـم ـ غنـي

ب) ما بين الراقص وأداة الرقص :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الخنجر هو الاداة الرئيسية فى هذه الرقصة والخنجر الذى يستعمل فى الرقصة يجب أن يكون خنجرا حقيقيا ولا كاذبا ، فهو الذى يقفـل الرقصة فى حركة حاسمة ، وعندمـا جاء الفتى الى الخياط لكى يؤدى رقصتـه الأولى بعد حصص عديدة قضاها فى الدرجة أتى بخنجره ، بيد أن هذا الخنجر هـو أحد الخناجر التى ورثتها العائلة عن الجد ، وهو بحكم الـوراثة يعتبـر الآن من ممتلكات الاب الذى يرث عن أبيه كل شىء والملاحظة المفيدة هى أن الفتى رقص فى المرة الاولى بخنجر حقيقى وبخنجر جده ذاتـه (34) فالخنجـر اذن بالنسبة للراقص خنجر موروث وليس جديـدا ، وأثناء أحداث الرواية ينتقـل الخنجر نفسه من يد الى أخرى لكى يستقر فى نهاية الامر فى صدر الخياط المعلم ويرديه قتيـلا .

---

(23) يقول الراوى كان والدى يملك مجموعة منالخناجر وأسلحة الصيد ورثها عن جدى فانتقيت من بينها خنجرا صقيل النصل » الشمس ص 25 .

(24) انظر الشمس .. ص 40 .

لقد انتقل الخنجر مباشرة من الجد الى الحفيد اذ ظل قبل الاستعمال معلقا بين الخناجر الأخرى والأسلحة فى القصر رمزا للمجد التليد حين كـان الجد قنصلا شرفيا يتعاون مع الاستعمار الفرنسى (35) ويقتل الفلاحين والضعفاء ، وقد استعمله الفتى للرقص وليس للقتل ، وقد رقص من أجل ابتسامة امرأة ذات عينين سوداوين ، ففى اللحظة الحاسمة « ارتبك وكاد يعدل لولا العينان الفاتنتان والابتسامة » (26) ، فكان للخنجر فى هذه اللحظة مدلول واضح يتمثل فى تحية اللقاء الانسانى الشامل الذى تزول فيه كـل العلاقات المتشابكة التى تخلق العداء بين الفئات والطبقات الاجتماعية « فلا قلعة ولا قبو » بعدما يقتل الوحش (27) ففى يوم عيد افتتن الخياط المعلم برقصـة تلميذه وصـاح قائلا « يا جميع الأمم صفقوا بالأيادى ، اهتفوا بصوت الابتهاج لحبيبى » (28) . انه شعار الاحتفاء بمعانقة الانسان أخاه الانسان فى أى وطن كان والى أى موقع اجتماعى انتسب وقد قصده المؤلف قصدا اذ يتجاوز الشعار الماركسى الذى يدعو الى وحدة عمال العالم رغم اعتناقه الجدلية المادية فى التفكير .

لكن الخنجر انتقل على اثر حادث أصاب الفتى وهو يؤدى رقصته الثانية الى المرأة التى رقص من أجلها (29) اما المرأة فهى امرأة « القبو » و « الحصير » وهى حسب العرف الاجتماعى عاهرة (30) وتتطور الاحداث فى الرواية بعد الرقصة الثانية ، فتذهب المرأة الى « القلعة » لكى تعيـد الى الراقص اداة رقصه ، وفى ذهابها رمز بليغ الى بداية اللقاء الانسانى وتجـاوز الحـواجز الاجتماعية ، ذلك أن المرأة انثى استوحت من الخياط طريقتهـا الخـاصة فى الدق على الارض تحمل وعى سكان الزقاق الفقير وهى اذ تمكنت من الخنجر

---

(25) نأمل عبارة المـؤلف كان جدك .. كان قنصلا فخريا ، ما هو القنصـل الفخرى ؟ كان لا يمشى على الارض وعلى درج السراى يتقدمه قـواص ليفتح له الطريق .. الشمس ص 89 .

(26) نفس المصدر ص 26 .

(27) نفس المصدر ص 212 .

(28) نفس المصدر ص 30 .

(29) نفس المصدر ص 113 .

(30) تقول عنها زوجة الخياط « هذه العاهرة » ص 102 .

الـذى استعمـل قديما لقتـل الفقـراء رفعـت رايـة السلم لكنهـا صفعـت وأهينت (3I) وعندئذ كاد يتحول الخنجر من أداة رقص ترمز الى الوفاق بين الفئتين المتناحرتين ، الى اداة انتقام (32) لكن المرأة التى يحركها دافع انسانى نبيل تراجعت فى اللحظة الحاسمة وظل الخنجر شاهد ادانة لسكـان قصر « القلعة » واثبات لـ « تمرغ القصر فى وحل الحى الفقير الذى جاءت المرأة منه حتى أحست بالاتفاق » (33) .

لكن الخنجر لم يلبث أن عاد الى مالكه الاصلى الذى يرجع اليه دلالته الأصلية المتمثلة فى القتل وسفك الدماء ، فلكى ينتقم والـد الفتى مـن الخياط الذى يعلم ولده رقصة الخنجر سعى الى التخلص منـه فقتله بنفس الخنجر الـذى رقص به الفتى (34) وهكذا عاد الخنجر الى وظيفته الحقيقية .

الخنجر ودلالتـه :

الجـد ⟸ قتـل الفـلاحين

الابـن ⟸ قتـل الضعفـاء

الحفيـد ⟸ الوفـاق الاجتمـاعى

المـرأة ⟸ السلـم الاجتماعيـة

الخيـاط ⟸ ضحيـة الظلـم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(3I) صفعتها أم الفتى ـ أنظر الرواية ص I28 .

(32) « انتضت المرأة خنجرا لا ادرى أين كانت تخفيه وانطلقت صيحات ثلاث دفعة واحدة لا تضربى اباك » الرواية ص I30 .

(33) أنظر الرواية ص I32 .

(34) انظر نفس المصدر ص 29I .

تحـول دلالـة الخنجـر :

القتـــل

I I

الـجـــد

الحفيد = الرقص ، الوفاق الاجتماعى

الخنجـــر

القتـــل = الابـــن ⟵ المـرأة = العلـم

ج ـ ما بين الراقص والمتفرجين :

لقد تعلم الفتى رقصة الخنجر مـن الزقاق وبالاحرى فى بيـت الخيـاط و « زقاق » رقصة الخنجر هو أحد أزقة الأحياء الفقيـرة فى المـدينة ، ولكى يرقص الفتى رقصته يجب أن يترك القلعة والأحياء الثرية ويشق الأحياء الفقيرة فمكان الرقصة يحدد نوعية المتفرجين فمنذ أن شـرع الخياط يوقـع لرقصـة تلميذه هرع سكان الزقاق لكى يتفرجوا عـلى الرقصـة ، والرواية لا تمدنـا بمعلومات كثيرة عن هؤلاء المتفرجين ، فهم كلهم من الفقراء ، فيكفى هؤلاء أن يكونوا « جمهور » الحى الفقير ، بيدأنهم لا يقفون من الرقصة والراقص موقفا سلبيا شأن المتفرجين فى الأحياء الغنية من الرقصة ذاتها فهم « لا يحبون الذين يرقصون الخنجر ، قد يتفرجون عليهم ولكنهم لا يحبونهم » (35) .

ان متفرجى « رقصة الخنجر » يتفاعلون مع الراقص والرقصة تفاعلا ايجابيا وعلى هذا الاساس نعتبرهم طرفا رئيسيا فى الرقصة ، فهم يصفقون ولكن أدنى خطأ فى الايقاع يؤدى الى قتل الراقص(36)ومن بين المتفرجين امرأة استحوذت

---

(35) انظر الشمس : ص 66

(36) قال (الخياط) للجيران الذين تسارعوا للفرجة وقفوا شبـه حلقة من الداخل وعلى العتبة « والنوافذ » صفقوا أنتم بايقاع ، فأقل خطيئة تهلك الراقص : الشمس ص 26 .

بنظرة وابتسامة على الراقص وحددت للرقصة هدفها ، فبعدما كـان الراقص خاليا من كل هدف سوى التعبير عن الطاقة الكامنة وجد فى تلك اللحظة المعنى الحقيقى لرقصته (37) ذلـك ان المرأة تتجاوز ذاتها لتصبح رمـزا للذين فى القبور (38) أى مجتمع الحى الفقير ، وهكذا أصبحت المرأة خلال الرواية عمزة الوصل بين الحى الغنى والحى الفقيـر فى المدينة وهمـا حيان فرقت بينهمـا المتناقضات الاجتماعية الحادة والاحقاد التى لم تنس خلال العصور الطويلة كما أصبحت أيضا الجسر الذى ربط الفتى بالمتفرجين ، وبالتالى جسمـت الرقصة مدلولها وحققت الى حدما هذا اللقاء الانسانى الساخن بل هذا الوفاق ذلك أن البطل ظل فى كامل الرواية يتردد بين الحيين « بين حى الفقراء وحى الاغنياء وبين قصر القلعة والقبو » .

المـرأة : طليعـة الحـي الفقيـر



الـراقص : قصـر القلعـة ⟵⟶ المتفرجـون : السكـان الفقـراء

على ان ضابط الايقاع وهو عامل لدى الخياط ، لم يشاهد الرقصة الاولى ولكنه سمع بها فى الحى وقد كان من قبل يعتقد ان قلبه قد مات (39) فلم يعد قادرا على الايقاع ، وهو كذلك صاحب فلسفة ، فان يعزف الانسان أن يرقص أو يحب يعنى أن يضيع عن الدنيا ويعود اليها وأن يشفى مـن مرض (40) ويؤمـن بأن الدنيا جميلة تستحق أن يحياها الانسان وعليه أن يتمهل حتى يشبع منها (41)

---

(37) يقول الفتى : فاندفعت الى الجلسة شاعرا ان قلبى يخفق بسعادة لا عهد لى بها وأن تلك الابتسامة قد نفذت اليه ولا جلها ولكى اكرمهما فانى قادر على االرقص ولو كان فيه موتى : ص 26 .

(38) انظر نفس المصدر ص 78 .

(39) القلب هو الذى مات انطقا النور ، كـان هنا (ووضع يده مكـان القلب) موقد وانطفأ ، ص 50 .

(40) انظر ص 47 .

(41) انظر ص 48 .

ولكنه فى الرقصة الثانية أراد أن يكون أحد المتفرجين بيد أن حكمة المعلم « الفيلسوف » تحققت « فالانسان » يموت ما دام حيا فما ان شرع المعلم فى العزف حتى خرج ضابط الايقاع من حلقة المتفرجين ليتحول الى موقع (42) تتكلم أصابعه .

هكذا أصبحت الرقصة رقصة الضعفاء والمظلومين وكل من به توق الى الحرية والعدالة الانسانية ، فهى « تحيات وهدايا لكل الحاضرين ولكل من لم يحضروا لابنة (عمه) وعويناتها الطيبة والفتاة الكئيبة وحصيرها الذى فى القبو وللمرأة وعينيها السوداوين ، لحما والذى (أخافه) وجمع الطيور وجمع الصيادين والفارس الذى منح صداقة رجل لرجل والمرأة التى قتلت حبها وبكت عليه ، للجوقة التى افلست والفلاحة التى ضربت لاجل حفنة زيتون وجميع الذين يحبون الرقص والفرح ويدقون الارض ويوقظونها .

2) الشبكة الدلالية الثانية : الرقصة من الخارج

أ ـ ما بين الراقص واهله :

ان عائلة الفتى الراقص لا علاقة لها بالرقصة لكنها ذات صلة رئيسية بالراقص أفليس الفتى النتاج الطبيعى لهذه العائلة بتاريخها وعاداتها ومفاهيمها الخاصة للحياة ؟

ما أن علم الوالد بالرقصة التى أداها ولده فى بيت حى الفقراء حتى غضب وراى فى ذلك « منتهى الرجولة بالنسبة لطالب بكالوريا » واساءة لعائلة لها مكانتها الاجتماعية الراقية فى أوساط المدينة،والده ذو مكانةفىالسرايوأخته مخطوبة لرئيس قلم وأسرته محترمة ، تبادل الزيارات مع أرقى أسر المدينة (44) فالعائلة تعتبر رقصة الخنجر رقصة الشارع وهى النقيض الحاد لرقصة

---

(42) انظر ص 104 .

(43) انظر ص 110/111 .

(44) انظر ص 33 .

« التانغو » التى تؤدى فى الكازينو (45) الذى يعد العلامة المميزة للوالد ورئيس قلمه وكل موظفى السراى من الطبقة الغنية (46) ومما زاد الاسرة هلعا تمرد الابن الوحيد الطالب فى الباكلوريا على رقصة « التانغو » وهى رقصتها المفضلة .

وهكذا تفقد الرقصة دلالتها الطبيعية باعتبارها حركة فنية يجد فيها الانسان متعته لتصبح ذات دلالة اجتماعية واضحة فالتناقض بين رقصة الخنجر ورقصة التانغو تناقض حاد وهو مرتبط أساسا بالتناقض الحاد بين راقصى الرقصتين فالذين يرقصون « التانغو » لا يحبون الذين يرقصون الخنجر (46) فاذا كانت رقصة الخنجر هى رقصة الحركة والحياة والريح والعاصفة والحب ، فان رقصة التانغو هى رقصة الرتابة والسكينة والاستقرار تدخل السرور والهدوء والراحة على قلوب مستمعيها (47) واذا كان الفتى يبحث عن الحركة الكاملة فقد اكتشف أن رقصة الخنجر هى رقصته ، وهكذا وجد نفسه على طرفى نقيض مع أسرته ، ومنذ أن رقص للمرة الاولى بدأ الصراع الحاد معأفراد أسرته وهو صراع سينتهى بالقطيعة ، ولكن يا ترى ما هى طبيعة هذا الصراع ؟

ان الصراع قائم أساسا بين الفتى وأبيه حول نظرتهما للمجتمع وفهمهما للواقع ، ففى حين يدعو الفتى الى الرفض والتحدى ودق الأرض حتى تميد من تحت أقدام المستغلين التافهين (48) يظل الأب سادرا فيما ألف ، يضحى بكل شىء فى سبيل الحفاظ على وضعه ومكاسبه إذ يرى أن العنف هو السبيل الوحيد للتعامل مع الفلاحين ، فقد قتل فلاحا واستباح زوجته (49) وهو لا ينفك يرفع شعاره « اقطع يد الفلاح اليوم تفرغ غدا » ويتعامل مع المستشار

---

(45) يقول الصهر هذا صحيح أرقص التانغو فى الكازينو هناك يرقصون التانغو ، أما الرقصة التى تعلمها أخوك فترقص فى الشارع نفس المصدر ص 39 .

(46) أنظر الشمس فى يوم غائم ص 66 .

(47) « « ص 85 .

(48) نجاح العطار « قراءة بطريقة ما » الشمس فى يوم غائم ص 16 .

(49) الشمس ص 141/142 .

الاستعمارى ليقتص من الفلاحين (50) ويرفض التغيير ، فالقلعة يجب أن تظل قلعة ترمز للمجد التليد ويحلم بعودة القنصلاتوو فرنسا (51) لكن الفتى وهو يمر بحالة وعى حادة يعلن عن كراهية لقلعة أبيه وأمجاده وفرنسيته وفراكيته وأملاكه وعقليته معا (52) واذا حاولنا تفهم سبب هذا الصراع لاحظنا انه يعود اساسا الى أن الفتى يريد ان يعيش عصره ، فما يثير العجب أن يعيش الانسان عصره بعقلية قديمة ليست ملائمة للواقع المعيش(53)ولقد احتد الصراع عندما علم الفتى بقتل أبيه الخياط وعندئذ كانت القطيعة النهائية والعبارة الاخيرة فى الرواية بليغة (54) .

ورغم هذا الصراع الحاد فان الفتى الراقص استطاع أن يغير مـن « موازين القوى » داخل الاسرة ، فالاخت ان لم تصارع فهى فهمت موقف أخيها ، فهى تسخر من حركات أبيها وهو يتم لبوسهوتدافع عنه أمام خطيبها الساخر (55) ولكنها مع ذلك ترى فى الاذعان لمشيئة الاب خير حل للخروج من المأزق .

قالت له « سافر اذن الى بيروت ، لا تغضب والدك لامر تافه كهذا » الرواية ص 36 . لان أمورا كثيرة لم تستطع فهمها (56) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(50) الشمس ص 79 .

(51) الشمس ص 136 .

(52) الشمس ص 138 .

(53) يقول الفتى « فى أى عصر نحن ؟ فلاحة وحفنة زيتون » مستشارنا يلعب البريدج ، يتفضل فيراقص النساء فى الكازينو يشرب بعض الانخاب ويرتب بعض القضايا .. سعادته حارس كروم ، الرواية ص 81 .

(54) أنهى المؤلف الرواية بهذه العبارة التى وردت عـلى لسان الفتى وانطفـأ الضوء .. وسادت بيننا الظلمة ، الرواية ص 294 .

(55) انظر الشمس ص 34 .

(56) ها هى تتحدث عن الفلاحيـن فى علاقتهم بأصحاب الارض « أنـا لا أبرر شيئا ، لكن الفلاحين لا يقتلون لا يفعلون شيئا غيـر الوشاية ببعضهـم

اما ابنة العم التى تعيش حالة نفسية خاصة فقد اختارت جانب الراقص فى صراعه مع الأسرة ، فهى ترى فى رقص ابن عمها معنى حرية التصرف والتحرر من سلطان العائلة ومفاهيمها القديمة (57) كما وجد فيها الراقص قلبا مثل قلبه ينشد الانعتاق (58) وقد طلبت منه أن يأخذها الى الخياط لكى يتعلم الرقصة (59) لكن الداعى الى الرقص مغاير فهى لا تحب الرقصة لذاتها بل هى مستعدة للتضحية فى سبيل صاحب الرقصة (60) وقد أدرك المعلم الخياط المغزى فقد أيقن أنها « لن تتعلمها » ولن تبرع فيها لانها مخلوق وتريد ان تتعلم المعزوفة لاجل من يرقص عليها (61) ولذلك فهى لم تخرج من حيرتها ولم تحقق مبتغاها .

هذه اذن العلاقة بين الراقص واهله ويمكن رسمها كما يلى :

رقصة الخنجر		رقصة التانغو
الشارع	≠	الاب والمستشار الاستعمارة
الحركة	≠	الماضى العتيق
الواقع الجديد	≠	السكينة والرتابة
الراقص	≠	الكازينو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب) ما بين معلم الرقص وأهل الراقص :

لقد بينا من خلال تحديد علاقة الراقص بأهله أن ثمة تناقضا حادا بين الراقص وهو يمر بمرحلة وعيه الاجتماعى وأهله لكن هذا التناقض الطارىء هو نتيجة حتمية لتناقض رئيسى قديم بين معلم الرقص وأهل الراقص .

---

(57) ردت على أمها وهى تحاور الراقص بل لأن ابن عمى تصرف بحرية وأضافت بالفرنسية الى ص 62 .

(59) نفس المصدر ص 57 – 58 .

(60) نفس المصدر ص 59 .

(61) نفس المصدر ص 67 .

لقد اكتشف الراقص منـذ بداية اتصاله بعالم الخياط هـذه العلاقة الحادة فالكراهية المقيتة هى همزة الوصل بين الطرفين وتلك هى الحقيقة المأسوية التى لا مناص من ادراكها (62) واذ تحارب العائلة رقصة الخنجر التى يرقصها فتاها فهى فى واقع الامر تؤكد على القطيعة بينها وبين الخيـاط (63) الا ان الطرفين يتجاوزان ذاتهما ليصبحا التعبير الاجتماعى الحاد عن فئتين متناقضتين فمعلم الرقص ليس الخياط وحده ، بل سكان القبو والازقة الفقيرة مـن فقراء وفلاحين وعائلة الفتى لا تعنى فقط سكان القلعة بل تعنى أيضا سكان الاحياء الثرية أصحاب الاراضى المتعاملين مع المستشار الفرنسى ، وهكذا تصبح المقابلة بين حيين متناقضين وبين فئتين اجتماعيتين متناحرتين فهؤلاء «يكرهون الذين هناك ، والذين هناك يكرهون الذين هنا » (64) ولقد أيقن الفتى بعد هذه التجربة أن التصالح ليس فى الامكان فـ « من العبث اجراء المصالحة أو توقعها » (65) .

ومن خلال تحليل السياق يتضح لنا ان هذه العلاقة العدائية ليست متكافئة فالحرب من طرف واحد وهو الطرف الاقوى فى هذه المعادلة أى سكـان الاحياء الثرية ، أصحـاب الاراضى (66) فهم يضربون و « الفلاحون لا يضربـون » ان السياق كله يقوم على ابراز هذه الفكرة فلقد أشرنا فى حديثنا عن مدلول الخنجر الى موقف المراة ساكنة القبو فهى تمكنت من الخنجر سلاح سكان الاحياء الغنية ولكنها اعادته الى اصحابه متخطية العداوة القديمة والحقد ولكن المحاولة باءت بالفشـل .

---

(62) أنظر الشمس فى يوم غائم : ص 86 .

(63) يقول الفتى « وضح رفض أملى لكل صلة معه » الشمس : ص 101 .

(64) نفس المصدر : ص 230 .

(65) نفس المصدر : ص 238 .

(66) شبه حرب « هذا هو.. حرب من طرف واحد ولدى محارب ووكيله محارب وكل الملاكين والوكلاء محاربون » الرواية ص 149 .

العلاقة بين المعلم واهـل الراقص ودلالتها

معلـم الـرقص ≠ عـائلة الـراقص

حـي الفقـراء ≠ حـي الأغنيـاء

الفقراء والفلاحون ≠ أصحاب الاراضى المتعاملون مع المستشار الفرنسى

ان العلاقات التى أبرزناها تمكننا من تحليل مدلول «رقصة الخنجر» فيرواية الشمس فى يوم غائم للروائى السورى حنامينه ، فالفن شكل اعلى من النشاط العلمى اذ يتوصل الانسان الى وعى ذاته عـن طريقين أحدهما نظـرى والثانى عملى (67) فالفنان يحاول بعمله الفنى أن يصل الى الامتلاء وأن يتجـاوز الحدود التى يفرضها عليه الاستلاب الاجتماعى وان يعبر عن « كلية تظاهرات الحياة » فى شروط تاريخية معينة لا يملك بالبداهة ان يلغيها (68) .

من هذا المنطلق يمكن أن نفهم رقصة الخنجر ودلالتها . فما الغاية اذن من الرقصة وما صلتها بالواقع الاجتماعى ؟ ان رقصة الخنجر هى رقصـة الحركة والدق على الارض ، فعلى الراقص ان ينقـل قدميه وان يخطـو ويدور ويبسط ذراعيه ويحركهما وان يدق القدمين بالارض (69) بيد ان هذه الحركة ليست مجانية فهى ترمى أساسا الى ايقاظ ارضنا النائمة ابنة الكلية (70) ويرى معلم الرقصة انها ستستيقظ . الباب الذى يقرع يفتح والرصد حين نعالجه بالحركات اللازمة يفك .

واذا تتبعنا سياق النص أدركنا أن معلم الرقص ليس فنانا فقط بـل هو أساسا خياط يجسم الطليعة الواعية فى الاحياء الفقيرة ويحرض الناس عـلى

---

(67) الفن والتصور المادى للتاريخ ـ بليخانوف دار الطبيعة ـ ترجمـة جروج طرابيشى : ص 11 .

(68) الفن والتصور المادى للتاريخ ص 12 .

(69) الشمس فى يوم غائم : ص 24 .

(70) الشمس فى يوم غائم : ص 31 .

الثورة وبذلك نفهم ذلك الصراع العدائى بينه وبين الاقطاعى وهو صـــراع ينتهى بموته .

أما الراقص فهو الفتى الذى تعلم من المدارس وفقــه معنى الثورة الفرنسية وطالع مؤلفات رواد هذه الثورة (71) لكن الواقع لم يمكنه من أن يعيش أفكاره نتيجة ارتباطه الطبقى بعائلة اقطاعية ابان الاحتلال الفرنسى لسورية فوجد فى الفن امتلاء الكيان وتجاوزا للحدود التى يفرضها عليه الاستلاب الاجتماعى لكن السؤال الذى يطرح نفسه : لماذا اختار المؤلف رقصة الخنجر بالذات ؟

لقد أشرنا فيما سبق الى علاقة التناقض بين رقصة الخنجر ورقصة التانغو وقد أبرزنا كذلك دلالتها الاجتماعية ومع ذلــك فنحن نعتقد أنهــا ذات دلالــة حضارية أيضا ولعل هذه الدلالة هى التى تبرر اختيار الكاتب لها .

ان رقصة التانغو هى رقصة الغرب رقصــة المستشار الفرنسى وان تبنتها عائلة الفتى والفئة الاجتماعية التى ترمز لها فهى تجسم استلابها وخروجها عن محيطها الحضارى وتربط مصيرها بمصير الغرباء عن الوطن اما رقصة الخنجر فهى رقصة الشرق التى من خلالها يعبر الخياط والفئة الاجتماعية التى ينتمى اليها تأصله فى بيئته الروحية والحضاريــة انها اذن تلــك الثنائيــة القديمــة فى الفكر العربى المعاصر وهى ثنائية (الشرق والغرب) .

وهكذا فان الرقصة باعتبارها عملية ابداعية تثير قضية الانتماء . لقد رقص الفتى عبر أحداث الرواية مرتين وفى كل مرة يعطى للرقصة دلالة متميزة ، فاذا اعتبرنا ان امرأة القبو تصــل فى حركتها الروائية الى درجــة الالتصاق برمــز الوطن(72)وعندما واجه الراقص ابتسامة امرأة القبو سقطت الجمرة المقدسةفى

---

(71) يقول الفتى .. لكن صفقت لهم اليعاقبة وأنا أقرأ ديكانز،أحسست أننى أسير معهم أحطم أخرق أرقص واغنى مثلهم) الرواية : ص 149 .

(72) كامل الخطيب ، عبد الرزاق عيد ـ عالم حنامينــه الروائى ـ دار الاداب ص 77 .

الاحشاء (73) . وقبل الابتسامة كان طوال الرقصة مضطربا يعيش حيرته الداخلية رغم تشجيع الخياط وتحريضه على انهاء رقصته فقد شعر برجفة فى يده وارتبك وكاد يعدل (74) . وعندما جاءت اللحظة الحاسمة أحس أنه عليه أن يعلن تعاطفه فكان نجاح الرقصة عندما استل الخنجر وشحذه على فخذه (75) ان نجاح الرقصة حسب قواعدها الفنية هو التعبير الرمزى عن فكرة التعاطف الاجتماعى والتأصل الحضارى فالفتى هو جيل سورية الجديد الذى تعلم فى المدارس وتثقف وهو يسعى الى الوفاء لثقافته وجمع التناقض بين الفكر والممارسة فهو يرفض أن تكون افكارنا يصنعها جدودنا (76) . لقد اثر الفتى أن يكون فكريا فى صف الخياط والمرأة وضابط الايقاع « وزملائه » الذين يتظاهرون ضد الانتداب ويطالبون بالحكم الوطنى فعسير على المرء أن يخون ابطاله « وقد اعطته الثورة الفرنسية » هؤلاء الابطال(77). بيد أن هذا التعاطف الفكرى فى حاجة الى حسم فلا يكفى الفقراء والفلاحين أن نتبنى أفكارهم بل لابد من أخذ موقف واضح من المعادلة الاجتماعية الصعبة وعلى الفتى أن يكون فى أحد طرفى المقابلة (مع أو ضد) اما « الكوخ » او « القلعة » . ان الرقصة الثانية هى التى تحدد موقع الفتى من هذا الصراع الاجتماعى الحاد ان الخنجر وحده هو الذى يحدد مصير الرقصة فحسب الاصول الفنية يجب ان يستل الخنجر من الجيب ثم يشحذ الفخذ دون أن يصيبه فمن حركة جميلة تقفل المشهد الراقص (78) لكن الفتى هذه المرة فشل فى انجاز رقصته اذ « فجأة مزق الخنجر لحم الركبة وحز على عظمها » (79) .

---

(73) الرواية : ص 27 .

(74) الروايـة : ص 26 .

(75) الروايـة : ص 30 .

(76) الروايـة : ص 229 .

(77) الروايـة : ص 216 .

(78) يقول الفتى « يا خنجرى العزيز قلت فى ذاتى ، أواه ، يا خنجرى العزير ، لك كلمة الفصل ، لك ان تقرر مصير هذه الرقصة » الرواية ص 112 .

(79) الشمس .. ص 112 .

وكان ذلك أمام المتفرجيـــن انفسهم وفى نفس الاطـــار المكانى ورغـــم تحريض وتحدى المرأة صاحب القبو واغرائها .

ان الرقصة الثانية هى رقصة خيبة الانتماء وهى تعكس موقـــف الفتى مـــن الصراع الاجتماعى والحضارى أيضا وهو صراع أدركه منذ بداية وعيه ، وسياق النص يؤكد هذه الدلالة ، فالفتى يظل طيلة احداث الرواية فى حركة دائمة بين الحيين فلا يترك حى الفقراء الالكى يعود الى بيته فى حى الاغنياء .. وهذه الحركة الحديثة تشير الى حالة التمزق التى يعيشها فازمته اذن هى ازمة التأصل وقبض تنافر قطبى الاستقطاب المتنافرين المفضية الى هذه اللانسجامية والتمزق (80) وعبثا سعى الى خلق « الوفاق » والانسجام بين القطبين المتنافرين بـــل مأساته أنه وجد نفسه مرفوضا من القطبين (81) فتنتابه أحيانا حالة احساس بالذنب ازاءهما ، ويرى ان تعاطفه مع الخياط وسكان الحى كـــان طيشا لا يتماشى مع وضعه الاجتماعى (82) ومن ناحية أخرى يسعى الى التفكير عن خطيئة لم يرتكبها وهى خطيئة قتل أبيه وأصحاب الاراضى الفلاحين (83) وهو بالتالى يسعى من ناحية أخرى الى انقـــاذ نفسه من رقصـــة الخنجر ذاتهـــا (84) واذ يخيب فى انجاز هذا المشروع الحضارى الشامل المتمثل فى تحقيق الانسجام والوفاق و « فى تحقيق الحلم الانسانى فى التعانق الشفاف مع مطلق تكامليته (85) يظل بين بين فى وضعية وسطى بين رقصة الخنجر ورقصة التانغو ، فما استطاع التخلص جذريا من انتمائه الاجتماعى السابق وما استطاع كذلـــك التأصل فى الوضع الاجتماعى الجديد الذى اكتشفه وقد ظل مقتنعـــا أن شيئـــا سخيفـــا

---

(80) كمال الخطيب ، عبد الرزاق عيد ، عالم حنامنه الروائى .

(81) يقول « انا من داخل السور والمرأة من خارجه ، دخلت الســـور فرفضت وخرجت منه فرفضت الرواية : ص 193 .

(82) انظر الرواية : ص 155 .

(83) انظر الرواية : ص 202 .

(84) انظر الرواية : ص 227 .

(85) كامل الخطيب ، عبد الرزاق عبد عالم حنامنه الروائى : ص 64 .

يشـوه علاقـات النـاس أحيانـا (86) وسياق النص ثـرى بالعبارات الدالة على هذا الموقف (87) .

لقد حاول مؤلف كتاب « عالم حناميه » تفسير هذه الدلالـة فالفتى حسب رأيهما رغم رفضه وتمرده وسماه غير المهادنة » يرمـز وقائعيـا الى انتصـار البورجوازية الصغيرة باسلامها مقاليد السلطة بكل قلقها وتنطعها للمهام التى تعلو على سقف امكانياتها كطبقة » (88) .

وهو كذلك « نموذج للانتلجنسيا التى تحمل طموحات جماهيرية وترفع شعارات تقدمية لكنها محكوم عليها بالعجز وشلل الفعل بسبب جذور انتمائها الطبقى » (89) .

ولهذا النوع من التحليل للواقع العربى المعاصر انصاره ومنظوره فى الفكر العربى ، ولعل ابرزهم عبد الله العروى الـذى يؤكد دائما عـلى دور ما يسمى بالبورجوازية الصغرى فى المجتمع العربى الحديث ، فهى حسب رأيـه « تمثل معظم سكان المدن بصورة أن الحياة المدنية فيها تكون مرادفة لحياة البورجوازية الصغيرة لاسيما عندما تكون الطبقة العليا (اقتصاديا وسياسيـا) أجنبيـة ، ويزيد عدد العمال الزراعيين والفلاحين الذيـن لا يملكـون أرضافهم يطـردون سلطة البورجوازية الصغيرة المدنية بمـا انهم يشركون معهـا بنفس التعلـق بالاستقلال وبالملكية الخاصة » (90) .

---

(86) الروايـة : ص 206 .
(87) اقرأ مثلا هذه الجملة بودى أن أخرج منالقبو ومنقلعة والدى وأهيم على وجهى فى طرقات مدينتى التى أفتقد لغة التفاهم معها ص 207 أو قوله فى نفس الصفحة لقد القيت نفسى فى ميـاه الوادى العكـرة وها هـو الاختنـاق » .
(88) عالم حناميه الروائى : ص 80 .
(89) نفس المرجع السابق ص 80 .
(90) أزمة المثقفين العرب ، ترجمة ذوفان قرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (1978) ص 160 .

اننا نقع فى ضرب من التعسف عندما نذهب الى مثل هذا الرأى فى تحليلنا لرواية « الشمس فى يوم غائم » ذلك أن الفتى الذى لديه « كلبته » أيضا (91) . وعبر من خلال رقصته الشرقية عن حيرته ورغبته فى التأصل اجتماعيا وحضاريا ظل فى مفترق الطرق ـ فلقد أراده الكاتب فتى دون العشرين لـم يكتمل بعد تكوينه الثقافى والاجتماعى ، وهو بذلك بعيد عـن « دورة الانتـاج » وبالتالى عاجز عن الحسم النهائى .

بيد ان الراوى سعى الى رصد مرحلة هامة من تاريخنا المعاصر وهى مرحلة النصف الاول من هذا القرن . ولقد أراد أن يكون أمينا رغم انتمائه الايديولوجى الواضح ، فالطبقة العاملة كانت ولا تزال فى المجتمـع العربى المعاصر عاجـزة عن بسط نفوذها وهيمنتها . ومع ذلك فالفتى عبر رقصته كان التجسيم الفعلى لمبادرة التغيير والتحـرر فى المجتمع فى هذه المرحلـة التاريخية وكـان الوعى التاريخى بضرورة الانتماء والتأصل والخروج من اشكالية الثنائية الحضارية .

ان رواية « الشمس فى يوم غائم » اضافة الى دلالتها الاجتماعيـة البليغة ، تعتبر من ابرز الاعمال الفنية فى أدبنا العربى المعاصر ببنائهـا الروائى المحكم واسلوبها الايحائى ولغتها المثيرة ، وهى تقدم لنا روائيا عربيا قديـرا ذا ثقافة اجتماعية واسعة وشاعرية عميقة ، أصبح يحتل مكانة هامة فى الرواية العربية المعـاصرة .

محمد الباردى

---

(91) الروايـة ص 107 .

حسونة المصباحى

حكايات عن النوم والجبن والظلم والغباء والكذب والحرب ومعنى الأسماء فى قرية مسيوتة من أولاد سنـــداسن من قبيلـــة جـــلاص

2) عن الجبن :

ليلتها ـ ولا مثيل لتلك الليلة ـ كانوا ساهرين في حانوت بولاعراس ٠

العربى والتهامى والاخضر والمولدى وولد هنية العمشة والبـــرنى ورجـــب الفحل وبوعزيز وسعد والآخرون ٠ كلهم اجتمعوا تلك الليلة (الله يديم نعمته علينا وعلى امة محمد ويبعد عنا كل شر وبلاء قال بولاعـــراس وهـــو يتـــأملهم) وغص بهم الحانوت حتى ان بولاعراس فضل ترك الباب مفتوحا بـــرغم البـــرد الشديد ٠ كان الوقت بين الربيع والشتاء ٠ ولاسبوع أكثر كانت العواصف تهز القرية ممزوجة أحيانا بالبرد أو بامطار كأنها السياط ٠ وكان الشتاء مثل اسد عجوز في حالة احتضار يزأر ويزمجر فى الاودية والوهاد مثقلا الدنيا بكآبة سوداء ، محاولا صد ربيع كان يتقدم خفيا وهادئا ٠ وباصابعه الدافئـــة كـــان يزهر اشجار اللوز وينبت بعض الاعشاب فى السهول المنخفضة ويلـــون الزرع والزيتون بخضرة داكنة ٠

وكان سعد اول من قدم الى الحانوت . تكوم فى الركن كالعادة وبدا متشوقا الى سماع رأيهم فى العجل الذى باعهم اياه فى الظهيرة وذبحوه تحت زيتونة «الجمل» ووضع بولاعراس الكانون أمامه وكلفه باعداد الشاى : اريده لذيذا مثل لحم عجلك يا سعد !

وفرح سعد وانبسطت أساريره ، فتلك اشارة بان الجميع راضون عن عجله . وهو يعرف أن بولاعراس خبير بأمور التجارة وباللحوم وبأسرار النساء . ولا

يمدح الا نادرا · وبدأوا يتوافدون افرادا وجماعات · وفاحت من أفواههم وشواربهم وايديهم رائحة اللحم اللذيذ · وبعضهم راح يزيل الفتات العالق بأسنانه بعود ثقاب ·

ـ الله يباركلك يا سعد !

ـ والله ما اكلنا لحما لذيذا مثل لحم عجلك يا سعد ·

وتمنوا له ولذريته الخير والبركة ودوام الصحة ·

واكتفى هو بأن ردد اكثر من مرة : الم أقل لكم انه عجل حليب !

وفى تلك الليلة كانوا سعداء من اى وقت مضى · فالعام يلوح أخضر ، مملوءا بالخير والبركة والافراح · والصابة اذا كان الله فى العون ستكون رائعة وستمتلأ البيوت حتى السقف بأكياس القمح والشعير والفول والحمص· وستضج السهول بالاغانى والزغاريد · وستمتزج أصوات نساء مسيوته بأصوات نساء العلا وأولاد سعيدان ، وستصعد حتى الحمادة قرب مكثر وسهول السرس · وسيسهر الكبار والصغار على ضوء القمر الجميل · وسيروون نوادر وحكايات لا تنتهى عن الجازية الهلالية وعن على ود السلطان وعن جحا وعبد الصمد وحرب الالمان · وعندما يحمر التين الوحشى سوف يهيج الفتيان وتكثر الاعراس وسيرقص ولد الدهمانى حتى يسقط من التعب وسيتبارى العرسان وسيغنى خليفة أغانيه الجميلة ضاربا الارض بعصاه :

خمسه اللى لحقو بالجره ملك الموت يراجى

لحقو مولى العركه المره المشهور الدغباجى

وكالعادة بدأت السهرة بلعب الورق · وتحلق اللاعبون الاربعة وسط الحانوت ملقين ببرانيسهم بعيدا حتى لا تعيقهم عن الحركة · التهامى والبرنى ضد الاخضر والمولدى · وهم أمهر وأشهر لاعبين فى المنطقة كلها · وكم من مرة جاءهم لاعبون على ظهور الجياد من أولاد عيار أو من العلا أو حتى من الروحية وجبل وسلات وعادوا خائبين · الناس يقولون عنهم : هؤلاء يصيبونها وهى طائرة ! وبدأ اللعب · وراح كل لاعب يضرب الارض بقوة محاولا أن يرهب منافسيه · وعلا الصياح والضجيج · وتابع الرجال اللعب فى البداية ثم لما طال

وتمطط وتمطط خاضوا فى أمور شتى وتبادلوا حكايات وطرائف وعلا ضحكم حتى ان البعض منهم شعر بألم فى بطنه • وكان بولاعراس هناك وراء المبسط يراقب كل حركة ويشارك فى الحديث أحيانا ويلبى طلبات الناس ويجيب عن أسئلتهم برصانته المعهودة محاولا أن يلعب دور زعيم القرية وقائدها خاصة بعد اختفاء الكبار •

وفجأة وقف التهامى على ركبة ونصف • وضرب الارض بقبضته حتى تطاير الغبار وصاح مزهوا : ـ زغردى يا زهرة المحفوظية ـ (وزهرة المحفوظية هى أمه) • وكان ذلك ايذانا بنهاية اللعب وبانتصار التهامى والبرنى على الاخضر والمولدى • وزغرد رابح ـ ابن اخت التهامى ـ هناك فى الركن القريب من المبسط وصاح :

ـ قتلته يا خالى !

وصاح التهامى ـ وهو لا يزال واقفا على ركبة ونصف ـ تحت الاذنين يا ولد اختى !

ـ اعرفك يا خالى ، انت سيد الرجال ، تضربها دائما وهى طائره !

ومد الاخضر والمولدى أرجلهما وراحا يمسحان العرق بينما انتشرت زرقة كامدة على وجهيهما •

وقال رجب الفحل محاولا مواساتهما : ـ الورق مثل المرأة ، انت لا تعرف متى تشتهيك ومتى تعرض عنك ! عليه اللعنة ألف مرة !

وقال بولاعراس محاولا أن يلطف الموقف : عندى حدس بأن الليلة القادمة ستكون ليلة المولدى والاخضر !

وصاح رابح وهو يمد رأسه الى الامام وعيناه الضيقتان تلمعان مثل عينى ذئب خبيث : ـ لا أحد يغلب خالى • والليالى كلها له • وأيضا كل النساء من سيدى عمر بوحجلة حتى حدود بلاد الجزائر .

كان واضحا أنه يريد أن يشعلها ، فأسكته رجب الفحل :

ـ اسكت انت يا ولد .. النعجة لا يمكنها ان تفتخر بألية الكبش . وسكت رابح مكرها . وأحس كأن احدا وخزه بابرة فى مكان ما من القلب . كان يريد أن

يواصل يغيظ الاخضر لانه يعرف أنه لا يتحمل خاله التهامى بسبب قصة من تلك القصص التى تظل على ألسنة الناس سنوات وسنوات · وكان التهامى يرغب أن يواصل رابح . وربما لهذا السبب هو يحرص دائما على أن يأتى به الى الحانوت فى كل سهرة · وكان يسكت المحتجين ومن بينهم بولاعراس قائلا:

ـ انه يكاد يكون ندى ، وانا أتحدث معه فى كل الامور حتى فى أمور النساء ! ويصمت الرجال غير أنهم لم يكونوا يتحملون رابح · فهو ولد خبيث وسليط اللسان وكبير الاذنين ويرغب فى اشعال النار فى كل مجلس وله قدرة عجيبة على اغاظة الناس وتفجير الخصومات خلال السهرات · وكم من مرة صاح فيه بولاعراس مغتاظا : ـ أنت يا ولد يا رابح ·· اذا لم تصمت فانى سأقطع رقبتك وسأحرم عليك الدخول الى حانوتى · وكان رابح يدخل رأسه بين كتفيه ككل مرة يشعر فيها بالخطر ويصمت !

والقصة التى شغلت اهالى قرية مسيوتة لسنوات وسنوات تقول ان خديجة ابنة خالة الاخضر أحبت التهامى وهامت به وهام بها منذ أدركت سن البلوغ· والجميع رآهما معا فى العين · بل وقيل ان احدهم عثر عليهما الواحد فوق الآخر وهما شبه عاريين فى الوادى بين اشجار الدفلى · وقيل ان خديجة تحب التهامى الى حد الجنون . وانها ترتعش مثل شجرة فى عاصفة اذا ذكر اسمه أمامها · وانها اذا ما غنت أو زغردت أو تزينت فانما له وليس لسواه · وانها اذا ما مرضت أو حزنت فانما بسببه · غير ان اباها وهو رجل قاس وأسود بسبب غيظ لا يكاد يفارقه طلق ثلاثا امام الرجال فى السوق وامام المسجد أن خديجة لن تكون الا للاخضر · ولم يكن الاخضر يرغب فى ذلك · فقد كان يعلم ومنذ الصبا أن خديجة لا تحبه · وأنها كانت دائما تتحاشى النظر اليه · ونادرا ما كانت تكلمه · ودائما بجفاء وبوجه منقبض وقاس مثل سهل لا ينبت سوى الاشواك . وكانت هى جميلة وفارعة الطول وقادرة على اذابة القلوب اذا تكلمت أو مشت · وكان هو قميئا ، ضيق العينين صغير الفم حتى ان البعض كان يسميه اليربوع · وكان يعلم انه لن يصل الى سرتها اذا ضاجعها · غير انه لم يكن قادرا على لى العصا فى يد الكبار . وأمه قالت له ذات مرة حين أراد ان يشتكى لها حاله : خير لك يا ولدى أن تتزوج امرأة لا تحبك من ان تتزوج امرأة تهيم بك الى حد الجنون ! وفضل أن يصمت لانه تعلم منذ فتح عينيه بأن حكمة الكبار لا يمكن ان تناقش ·

ومرة واحدة تبادل التهامي والاخضر الحديث فى هذا الامر • كل واحد كان يخشى اثارته لسبب من الاسباب . وكانا يشعران أن هناك عداء صامتا بينهما وكل واحد منهما كان يحمله فى قلبه مثل جرح لا يريد أن يبرأ بل يزداد اتساعا فى كل لحظة • وكان يتحرجان من أن يتواجدا وجها لوجه فى مسرب أو فى مكان ما • وكان لعب الورق ، الوسيلة الوحيدة لينتقم الواحد منهما من الآخر . وكان التهامى يلعن الدنيا الكلبة التى قدرت ان تتزوج خديجة الفارعة الطول وأجمل بنات القرية من واحد بحجم قبضة اليد وقذر وضئيل فوق ذلك وجبان يخاف ظله ولاعب ورق فاشل • وكان الاخضر يلعن الاقدار التي لم تجعله فى قامة وفى جمال التهامى • وكان يود احيانا لو تنفجر عاصفة فتطوح بالتهامى بعيدا ، فى بلاد السند أو الهند مثلا • ويبقى هو وجها لوجه مع خديجة «سيكون مثل السيف بينى وبينها» كان يردد ذلك دائما وهو فى غم شديد •

وتلك الليلة كان التهامى يرغب فى أن يواصل ابن اخته رابح تهكمه لانه علم منذ أيام أنه عرس الاخضر وخديجة سيكون فى أواخر الصيف . وأمس حين التقى بخديجة فى سانية الزيتون بكت بمرارة بين أحضانه وقالت له : «كيف تتركهم يزوجوننى من ذلك اليربوع القذر يا تهامى •• انت الذى وعدتنى منذ القبلة الاولى أنك ستحمينى من شرهم حتى ولو كلفك ذلك حياتك !» • وقال لها يائسا : انه لا يقدر أن يفعل شيئا وأن أباها عنيد مثل بغل • وطلب منها وهى تنتفض باكية مثل عصفورة مقرورة : ان كانت تقبل أن تهرب معه الى احدى المدن النائية لكى يعيشا معا بعيدا عن قسوة الاهل وكيد الحساد ومؤامرات الحاقدين • وأحس بها ترتجف من الخوف • ثم قطعت حديثهما أصوات نسوة كن يعبرن السانية باتجاه الوادى •

وتواصلت الحكايات وتشابكت • وصعدت ثم نزلت • ودارت حول نفسها ثم تدفقت عنيفة مثل مياه واد يفيض • وعلا الصراخ والضحك • وقال بولاعراس وهو وراء المبسط أن الشبع يخفف من توتر الرجال ويجعلهم لينين مثل البنات• وشعر سعد وهو يواصل اعداد الشاى بان لحم عجله اللذيذ هو سببه كل ذلك الفرح وكل ذلك الوئام • ثم لا أحد يتذكر كيف وصل بهم الحديث الى حكايات عن الرعب والاهوال والاغوال • وطلبوا من سعد أن يروى لهم حكاية جده الذى كان يستريح قرب عين ماء فى طريق مكثر ذات قيلولة قائظة • وفجأة وقفت عند رأسه امرأة وطلبت منه أن يسقيها • وقبل أن يفعل صعد فيها ونزل فاذا نصفها الاعلى نصف انسان ونصفها الاسفل نصف حيوان • وحكى لهم المولدى

حكاية أخيه على الناعس الذى كان يسير ذات ظهيرة فى سهل فارغ • وفجأة سمع أصواتا وضجيجا وصهيل خيول • وبعد ذلك راحت الحجارة تتهاطل عليه بغزارة حتى كادت تفلق رأسه . ورؤوا حكايات أخرى وقف لها شعر رؤوسهم وتكوم البعض سنهم فى الاركان لاعنين من بدأ برواية مثل تلك الحكايات •• ثم لايدرى رجب الفحل كيف فلتتت منه : لا أفهم لماذا يصمت الاخضر كلما روينا حكايات كهذه !»

وأطلقها رابح مثل رصاصة : «أتدرون لماذا ؟ لانه جبان ، يخاف ظله !» وصمتوا كلهم ، اذ شعروا أن الحبل قطع نهائيا وأنه لا سبيل لاخماد معركة توشك أن تنفجر . وهمس التهامى فى سره مزهوا : « فعلها الفحل ابن اختى !» وقال بولاعراس : «فليدافع عن نفسه هذا اليربوع القذر • كيف يسمح لصبى يتطاول عليه كل ليلة ويشتمه كما لو كان نفاية من النفايات ! » وقفز الاخضر مغتاظا : «أنا جبان يا ابن الكلب • سأكسر أسنانك هذه الليلة !» ومد قبضته وهو فى حالة من الهيجان الشديد .

وقهقه رابح وهو لا يزال متكمشا فى الركن : «أنا أعرف أنك لا تستطيع أن تفعل شيئا • أنت تتكلم فقط • ولا تقدر حتى على قتل ذبابة »! • ومد الاخضر قبضته ليضربه على وجهه غير ان الرجال مسكوه . وصاح بولاعراس مغتاظا : اسمعوا يا رجال .. لا أريد عراكا فى حانوتى . أنتم تعلمون أن رجال الحرس أغلقوا حانوتين فى أولاد السباع بسبب العراك !»

وراح الاخضر يلهث من شدة الغيظ مرددا فى سره : «انه يتحرش كخاله التهامى الكلب بن الكلب !»

وبدأ التهامى هناك فى مكانه هادئا وكأن الامر لا يعنيه .

وقال سعد : العنوا الشيطان يا رجال !

وصاح الاخضر : كيف تسمحون لخنفساء كهذا أن يتحداني ويهينني !»

وكان واضحا أن كلامه موجه للتهامى •

غير ان التهامى ظل صامتا •

كلهم يعرفون أن الاخضر جبان • وهو لا يقدر أن يأتى الى الحانوت وحيدا•

دائما واحد او اثنان يرافقانه والا فانه لا يخرج • بـل ان ابن عمـه عمـار يقول : انه بال فى الغرفة التى ينام فيها لانه خاف ان يخرج وحده فى الظلام• والحكايات كثيرة عن جبن الاخضر ـ وكلهم يرددونها :الصغار والكبار على حد سواء • بل ان البنات قلن لخديجة لما سمعن أنهـا ستزوج الاخضـر : آه يـا أختى •• وكيف تقبلين أن تتزوجى من رجل ترافقه أمه ليلا الى باحة الدار عندما يريد أن يتبول !»

ولأيام وليال ظلت خديجة تلطم وجهها وتبكى حظها العاثر دون أن يكفكف دموعها أحد •ودون أن تمتد يد لتخفف أوجاعها • وللحظـات ظـل الرجـال صامتين • وفاحت فى الحانوت رائحة شبيهة برائحة طلقة رصاص • وتعـالت أصوات العاصفة عنيفة ، هائجة • ثم قفز رابح مرة أخرى وصـاح : «ولمـاذا نطيلها • أنت تدعى أنك لست جبانا • حسنا • أنا أعطيك مائة دينار ان كنت تستطيع أن تذهب الآن الى الجبانة وتدق وتدا عند رأس سيدنا احمد بن أبى سعيد !» وبخفة متناهية أخرج أوراقا مالية كثيرة وراح يرقصها امـام عيـون الرجال وقد بدوا مذهولين ، متعجبين من قدرة ذلك الصبى النحيف على اشعال النار وتفجير الحروب • وهمس التهامى مزهوا : «فحـل ابن أختى !» وبـدا الاخضر بعينيه الضيقتين وبفمه الصغير شبيها بأرنب أمسكها فخ • وفى ذهنه دارت الافكار بسرعة غريبة : «انه يتحرش بخاله التهامى الكلب بن الكلب • وواضح أنه لن يكف عن شره هذه الليلة . مائة دينار بأكملها ؟ ومـن أين اتى بها ابن الزانية؟ واذا لم أذهب فسيضحك منى غدا الكباروالصغار وسيتهامسون فى الاركان عندما أمر . وستكرهنى خديجة اكثر من قبل وستصرخ محلولـة الشعر : سأرمى بنفسى فى البئر ان انتم زوجتمونى من هذا الجبان ، اضحوكة الرجال • مائة دينار بأكملها ؟ سأذهب الى القيروان واشترى بها حريرا وكحلا وشامية لخديجة • وستزغرد أمى حين تعلم انى تحديت التهامى وابن أخته • وستذبل خديجة عينيها الجميلتين لما تروى لهـا النساء الحكايـة فى العيـن وسيحمر وجهها وستحبنى الى الابد !»

وقف الاخضر وعيناه تلمعان بالتحدى •

ـ اعطها لبولعراس •

وأعطى رابح المائة دينار لبولاعراس .

التف الاخضر ببرنسه الاشخم واندفع باتجاه الظلام والعاصفة · وصمت الرجال مرة أخرى · غير أن رابح قال ساخرا : أنا أقول لكم : انه سيعود من منتصف الطريق ·

وارتعش قلب التهامى : اذا فعلها فسيصبح بطل القرية الكلب بن الكلب !» ·

سار الاخضر باتجاه الجبانة بخطوات واثقة · وشعر بشجاعة غريبة تستبد به شجاعة لم يسبق له أن عرفها من قبل · وسخر من نفسه واستغرب كيف انه الى حد ذلك الوقت كان يخاف الظلام وأصوات الرياح وكيف أنه لم يكن يقدر أن يسير عشرين خطوة وحده فى الليل،وهو لا يزال يذكر تلك الحادثة وهو فى الخامسة عشر من عمره عندما ألقاه أبوه فى باحة البيت وأغلق الباب وكانت الدنيا شتاء ورياحا وصواعق وظلاما كثيفا · وكيف أنه راح يصرخ ويصرخ وبضرب الباب ويتلوى من الفزع · ولما أحست أمه أنه سيموت من الخوف هرعت اليه وعلى ضوء القنديل رأت وجهه أسود مثل الفحم : ولايام ظل يرتعش محموما تحت الاغطية · «اللعنة على الخوف» قال بصوت عال · ثم همس : «غدا سأنتقم من التهامى ومن ذلك الخنفساء ابن اخته» · كانت العاصفة تهز الدنيا بعنف وكان الكون امتدادا من الظلام الكثيف · لا سماء ولا أرض · غير اضواء خافتة تتراقص هنا وهناك · «سأدق الوتد عند رأس سيدنا احمد بن ابى سعيد وسأطلب منه أن يبعد عنى هذا الخوف الذى نغص حياتى وأن يقرب قلب خديجة من قلبى وأن يقسم ظهر ذلك التهامى الخبيث !»

والى حد وادى الجدور كانت حالة الاخضر على أحسن ما يرام · كان خفيفا مثل ريشة . ومزهوا مثل عريس ومتوثبا مثل فهد . غير أنه وهو ينزل منحدر وادى الجدور احس برعشة فى قلبه · ثم لم تلبث ان امتدت تلك الرعشة الى كامل جسده · وحتى فى وضح النهار كان يهاب اجتياز وادى الجدور بمفرده· ثمة احساس بان هنا أرواحا واغوالا تسكن ذلك الوادى اللعين . والكبار يقولون : ان احد المجرمين العتاة فى الأزمنة الغوابر ذبح فيه خمسة من رجال أولاد عيار . بل ثمة من سمع ليلا وهو يمر من هناك أنينا وصراخ رجال يذبحون من الوريد الى الوريد· حكى ذلك بوعزيز والمرحوم الحسنى وعبد السلام الاعور · وعندما وصل الاخضر الى قعر الوادى شعر وكأنه داخل قبر · وجرى وهو يصعد غير أنه تعثر اكثر من مرة وامتلأ فمه بالتراب وبالمرارة · وكاد يبكى من القهر . وفكر فى العودة غير أن ضحكات رابح الساخرة وعينى خديجة دفعته الى الامام · «اللعنة على الشيطان الرجيم» صرخ اكثر من مرة · وهو يسير

بمحاذاة سانية الزيتون خيل اليه ان اشباحا تتحرك من حـوله · اشبـاح لها رؤوس البقر الوحشي · واخرى لها رؤوس البغال الرمادية · وثقلت ركبتاه· وامتلأ رأسه بضجيج كأنه ضجيج آلات الحصاد أو رحى القمح · وأحس برغبة عنيفة في أن تكون أمه بجانبه وأن تحتضنه وتسقيه ماء باردا · ولعن التهامى وابن اخته رابح وخديجة وكل اهالى القرية · «لا أحد منهم يرأف بحالى ويتحمل خوفى» قال وهو يوشك ان ينفجر باكيا · ولكـى ينسى الخـوف حـاول أن يغنى :

ريـم الفـلا يـا خاويـة العبون ،
نـاسـك سهـارى .....

وفضل أن يصمت لان صوته كان شبيها بنهيق حمار · بل أنه ضاعف من فزعه . « كأنها ثمة عصا فى حلقى » قال . ورغم ذلك واصـل السير باتجـاه الجبانة تطارده ضحكات رابح الساخرة وعينا خديجة . ولم يعد يحس الارض تحت أقدامه · كل شىء تحول الى ظلمة كثيفة تمتـلىء بالاصـوات والفحيـح والاشباح والاشواك ·

وعندما وصل الى باب الجبانة كاد قلبه يتوقف عن الخفقان وشعر كان أحدا يخنقه «يا جدى ·· يا سيدى احمد بن ابى سعيد اراف بحالى وانقذنى من هذه المحنة القاسية · انى ببابك فخذ سيدى انا ابنك الوفى واسمك كان دوما عـلى لسانى يا جدى يا سيد احمد بن ابى سعيد ···» ومشى بين القبور محاولا الا ينظر اليها . « الكلب بن الكلب ، كان عليه أن يطلب منى أن أدق الوتد عند رأس أحد المدفونين على حافة المقبرة · ولكنه خبيث وابن فاجرة» ! وبدت له شجرة العرعار التى يستريح تحتها سيدنا احمد بن ابى سعيد ضخمة ومفـزعـة فى تلك الظلمة الكثيفة وفى تلك العاصفة الهوجاء «الكلب بن الكلب · كـان على أن أصفعه حتى يلمع البرق بين عينيه» ! وهو يقف عند رأس سيدنا احمد بن ابى سعيد شعر أن الجبانة كلها تتحرك وأن الاموات يخرجون كلهم وفى أيديهم هراوات من حديد . وتخيلهم يطوقونه ويهجمون عليه . وكاد يصـرخ طالبـا النجدة . « كان على أن أعود . الكلب بن الكلب يريد أن يقتلنى . كلهم تآمروا ضدى حتى يزوجوا خديجة من الكلب التهامى» ! تحامل على نفسه برغم الرعشة الشديدة التى استبدت به وقرفص عند رأس سيدنا أحمد بن ابى سعيد · بحث عن علبة الثقاب فلم يعثر عليها · «سرقوها منى ابناء الكلـب قبـل ان

اخرج» ! امسك بالوتد وبالمطرقة وراح يدق • واحدة ، اثنتان ، ثلاثة ، اربعة خمسة» ! ولكن الوتد ظل على سطح الارض •

تصبب العرق باردا وسال غزيرا عبر العمود الفقرى • ولم يعد يشعر بشىء كأنه فقد الحواس الخمسة .

«واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة ، ستة» انه يدخل • وتسارعت الضربات . وشعر أن الوتد ينفذ الى قلب الارض . « بعد حين ستنتهى آلامى . وسأنتصر على اعدائى • واتزوج خديجة» ! • وخف فزعه قليلا • وراح يضرب واضعا بين عينيه رأس التهامى وابن اخته رابح •

ثم نهض لاهثا • وعندما كان يتأهب لان يخطو الخطوة الاولى أحس أن شيئا ما يمسك ببرنسه • جذب بقوة وبشىء من الغضب • غير أن البرنس ظل مشدودا بذلك الشىء الخفى • وتخيل أن ايادى الموتى امتدت كلها من القبور ومسكت به تريد جذبه الى أعماق الارض • الى الظلمة والدود • والعقاب • وطافت بذهنه صور مرعبة • صرخ مثل دابة مريضة • ثم لا يدرى كيف تمكن من التخلص من البرنس وجرى فى اتجاه القرية مواصلا الصراخ والعياط ، متعثرا أكثر من مرة • وكان بولاعراس أول من سمع الصراخ : اسمعوا يا رجال الاخضر يستغيث» ! • وجروا كلهم باتجاه الجبانة • عثروا على الاخضر فى وادى الجدور مدمى الركبتين ، ووجهه أزرق من الفزع • ارتمى فى احضان سعد وصرخ : الموتى يطاردوننى • واحدهم افتك برنسى» ! وعاد به البعض الى الحانوت وهو يرتجف محموما •

وواصل بقية الرجال سيرهم باتجاه الجبانة يتقدمهم التهامى وابن اخته رابح ساروا صامتين بين القبور • وحين وصلوا الى شجرة العرعار اشعلوا اعواد ثقاب .

وماذا تتصورونهم رأوا ؟!

الوتد ثقب البرنس من الجناح الايمن ثم نفذ بعد ذلك الى الارض • وبدأ البرنس كئيبا متوجعا وكأنه يريد أن يشتكى صاحبه الذى أهمله فى ذلك المكان الحزين • وقهقه رجال قرية مسيوتة وسط العاصفة ورقص رابح بين القبور •

حسونة المصباحى

15 مـاى 1985

ميـونيـخ

تعريب : محمـد مـزغيش
تأليف : أوغستو إيسرن

فـي شغـل عـن المـوت

كان السيد روبرتو ميناندث طراسيساس رجلا غنيا جدا ، يشاع أنه جمع ثروته اثر الحرب بفضل قيامه باعمال مشبوهة لم تكن مما يبيح القـانـون تعاطيها ٠

لكن يؤكد اصدقاؤه وكل المقربين اليه والمتعاملين معه في التجارة أن السيد ميناندث على النقيض من هذه الاشاعة ٠ كان يشتغل بجد لحد أن المدة التى كان يقضيها كادحا تفوق ما يتصوره الناس عادة حتى انه كان يشعـر بـان ساعات النهار غير كافية بالنسبة له لاتمام كل ما عليه القيام به ٠

ان يوم الشغل عند السيد ميناندث هو يوم يتسم بالسرعة والعجلة ٠٠٠٠ السرعة والعجلة هما ميزتا السيد ميناندث ٠ وكثيرا ما تبلغان درجة تجعله يصرح لمن معه أنه تناول طعامه منذ حين والحال أن لقمة لم تدخل فمه منذ الليلة البارحة ٠ بل انه كان أحيانا يرقد دون أن ينزع ثيابه بدعوى أنه بهذه الطريقة يوفر كل الوقت الضرورى لخلع ملابسه وتبديلها بقميص النوم ثم ارتدائها من جديد فى صباح اليوم الموالى ٠

وربحا للوقت كذلك ـ ولكى لا يتأخر عن المواعيد المضروبة ذات العـلاقة بأعماله الكبيرة ـ كان يملك سيارة فخمة من نوع «كـاديلاك» يقودها سائق خاص يأتيه كل صباح للذهاب الى معمل المرطبات فمجلس ادارة شركة التأمين «النجم الازرق» فمستودع نتاج البحر الكائن بشارع السمكة فقاعة عرض الافلام التى يملكها بأحد الاحياء فالمكتبة التى فتحها حديثا بوسط المدينة وأخيرا الى المطعم الذى يحمل اسم «الديك الذى لا يصيح» ٠ ولا تعنى هذه التسمية أن المطعم غير مزدهر اقتصاديا بل تعنى العكس تماما ٠ كان لا يقضى من الوقت بكل الاماكن المذكورة أكثر من نصف ساعة لان أشغاله الاخرى لا تسمـح له بالبقاء مدة أطول اذ عليه فى المساء أن يؤدى زيارة خاطفة الى دكانه للخياطة

ودكانه للحلاقة ودكانه للملابس الداخلية والى مجلس ادارة شركة «ستاندارد» ومجموعة أخرى من المتاجر الصغيرة التى تساعده بما فيه الكفاية لزيادة أرباحه مثل متجر بيع المواد المعدنية وغيره ٠

وفى كل ليلة تكون زوجته مع أبنائه الخمسة فى انتظار عودتـه . وعندها يتناولون العشاء ثم يقضى روبرتو بعض الوقت فى محاسبة الاطفال الكبار على أعمالهم المدرسية بينما تكون السيدة قرينته تلاعب الابن الاصغـر أو تقـص بعض الحكايات المملة ٠

وينام الاطفال ويدخل الاب غرفة النوم متبوعا بأم اولاده فيتوجه الى السيدة فيليسيا حرمه بقوله : على ان انام باكرا اذ مطلوب منى ان اسوى صباح الغد بعض المشاكل ٠ وعادة ما تسأل فيليسيا زوجها قبل اطفاء الضوء قائلة :

ـ هل ترجع غدا لتناول وجبة منتصف النهار ؟

ـ لا أستطيع أن أجيب فالامر متعلق بمدى كثافة العمل ٠

وتوجه له سؤالا من نوع آخر ٠

ـ روبرتو ، كم عدد أبنائك؟

ويجيب بكل صراحة ٠

ـ ليس لدى من الوقت ما يسمح لى بعدهم ٠

ثم ينام نوما عميقا كما يفعل الصعاليك بعد يوم حافل بالمغامرات وكما رأينا فان حياة السيد روبرتو طراسبياس قائمة على سرعة لا تطاق تفوق ما يتصوره العقل لكن الحياة هى الحياة لا تختلف نهايتها مهما كان معدل سرعة سيرها، فنهايتها تفاجىء كل الناس ٠

فى يوم من الايام دق جرس باب منزل هذا السيد الثرى فأسرعـت المعينة لفتحه فاذا هى وجها لوجه مع «الموت» متمثلا فى صورة رجل طويـل القامـة نحيف يرتدى كساء رمادى اللون ٠ وبسؤاله طلب مقابلة السيد طراسبياس عاجلا وأن تكون المقابلة بغرفة الجلوس ٠

ودخلت المعينة على سيدها الجالس مع بقية أفراد الاسرة بغرفة الاكل لتناول وجبة الصباح • وأعلمته بان سيدا طويل القامة نحيفا يقول : ان اسمه «الموت» يبتغى التحادث معه حالا • وضحك الجميع لسماع هذا الاسم ظانين أن المعنى واحد من المختبلين أو شبيــه بهم .

كان جواب رب البيت بعد أن القى نظرة على ساعة يده •

ـ لا ادرى اذا كان الوقت يسمح بهذا اللقاء فلم يبق لى الا 20 دقيقة لمباشرة عملى وها هو السائق اقبل بالسيارة كما اننى لم أفرغ من شرب القهوة •

ومع ذلك انتصب قائما وعدل ربطة عنقه وأعلن للمعينة أنه سيكون بغرفة الجلوس فى بضع ثوان •

وبهذه الغرفة وجد السيد «الموت» فى انتظاره فأقبل نحوه محييا ومصافحا وقال له : حضرتكم تدعى «الموت» وتودون محادثتى فى موضوع هام ـ لكنى آسف لضيق الوقت ، فهل لحضرتكم فى الركوب معى فى السيارة واعلامى اثناء الطريق بما جئتم من أجله • فأجابه «الموت» :

ARCHIVE

ـ كما تشاؤون •

وخرج كلاهما ونزلا من المدرج واستقلا السيارة بفائق السرعة • وحين تحركت بدآ يتجاذبان أطراف الحديث •

ـ ما طلب حضرتكم ؟

ـ جئت أعلم حضرتكم أنه كتب عليكم أن تموتوا غدا على الساعة السابعة مساء •• ذلك ما نص عليه فى اللوح المكتوب •

ـ ماذا ؟

ـ آه ـ نسيت أن أقدم نفسى لحضرتكم ، انى الموت ، جئت لتنفيذ ما هو مقرر أى أن تفارقوا الحياة على الساعة السابعة مساء •

ـ لا أدرى ما اذا كان ذلك ممكنا فى هذا الوقت بالذات ، ان على ان أفض مشاكل متعددة فى تلك الساعة • واتجه نحو السائق فرناندو قائلا له : اسمع هل تذكر ما هو موعدى غدا على السابعة ؟

واجاب فرناندو :

ـ لا ادرى يا سيدى ، انكم رجل ذو اعمال لا تنتهى . واظن أن ساعات النهار كلها غير شاغرة كا لعادة ٠

وتدخل الموت :

ـ مهما يكن من أمر فمفروض عليكم أن تموتوا غدا على الساعة السابعة ٠

ـ لكن قلت لكم : انى لا أستطيع ، انى مشغول ، مشغول بقضاء شؤون شتى ، ومهما حاولت أن أكون فى الوقت المحدد فسأنسى موعدكم لا محالة ، ألا يوجد لديكم حل من الحلول ٠

ـ ليس معتادا أن نقبل بديلا عند حلول الاجل ٠ لكن اذا كان لدى حضرتكم معرفة بمن يقبل أن يموت عوضا عنكم فى الساعة المعينة فقد يمكن تسوية المشكل بصفة استثنائية ،،، صديق حميم مثلا ،،، بهذه الطريقة تتخطون العقبة وتموتون عند مجىء أجل من يرضى أن يموت عوضا عنكم ـ هل تقبلون ؟

ـ كيف لا أقبل ، هذا حل حسن جدا ـ سأفاتح كامويسو فى هذا الموضوع رغم أنه محرج شيئا ما ، انه صديقى منذ الصغر ولعله لا يرفض هذا الطلب ٠

ـ أتمنى أن يقبل ، على كل اذا ما توصلتما الى اتفاق فالمرغوب أن تطلبونى هاتفيا هذه الليلة على الثانية عشرة بالرقم 66666 لاشعارى بما يتم فى هذا الامر ، والآن مع السلامة ٠

ونزل الموت من السيارة فاقع اللون مرتعشا من شدة البرد متجها نحو زقاق ضيق بعد ان التفت نحو الرجل الثرى قائلا له : ان سيارة حضرتكم جميلة ٠

وشقت السيارة طريقها وسط حركة المرور لتقف أمام باب السيد كامويسو ونزل السيد طراسبياس من عربته بفائق السرعة فصعد الى الطابق الاول ودق الجرس ودخل غرفة الجلوس اثر فتح الباب مباشرة فوجد كامويسو جالسا وحده اذ قد خرج اولاده وزوجته لقضاء بعض الشؤون ولا يعودون الا بعد الزوال ٠

حيا كامويسو صديقه ورجاه أن يشاركه شرب القهوة ـ لكن طراسبياس خاطبه بلهجة المستعجل :

ـ اسمع يا بيبى كامويسو ـ المسألة جد لا هزل ٠

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اعلم أن الامر يجب أن يتم غدا على السابعة ٠

ـ ما هذا الذى يجب أن يتم على السابعة ؟

ـ أعنى أنه يجب أن تموت غدا على السابعة عوضا عنى ان لم تر مانعا من ذلك ٠

ـ أجننت يا طراسبياس ؟ لكأن حالتـك لا تبشـر بخيـر ، ان عليـك ان تستشير طبيبا نفسانيا ٠

ـ أنا أفهم أن فى هذا الخبر صدمة لك ، صحيح ، لكن الواقع أن على أنا أن أكون بقيد الحياة فى تلك الساعة بالذات ، اذ على أن أحضر جلسة هامة جدا لا يمكن لى التخلف عنها فهى تتعلق بسير عمل احدى شركائى ٠

ـ وجئت الى انا بالذات من أجل ذلك مستغلا ما بيننا من صداقة لفائدتك الشخصية ٠

ـ لا تقل هذا يا صديقى فأنت عندى أعز اصدقائى ولا أظنك تبخل علي بقضاء حاجة ، انى أعوضها لك بما تشاء فأنت لست رجل أعمال ولا تكسب الا القليل من النقود ، الا ترى أنك لا تحصل على ما يكفى عيش أسرتك الا بمشقة ، أو تظن أن زوجتك وأولادك لا يتوقون الى حياة أفضل أولا تطمح حرمك الى أن تكون فى تصرفها سيارة ولها معطف من الفراء وجواهر وكـل مـا تشتهيـه النساء

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أقصد أن عليك أن تقبل أن تموت مكانى غدا على السابعة وعندما يـأتى دورك لتموت ٠ أعوضك أنا ، هو مجرد تبادل خدمة لا أكثر ولا اقل ، أليـس الاصدقاء لاوقات الشدة ٠

ـ لكنه امر ليس بالهين كما تتصور !

ـ طبعا ، طبعا ، كنت منذ لحظات مع السيد «الموت» وتحادثنا فى الموضوع مليا • وبعد أن قلبنا الامر من جميع الاوجه قبل هو نفسه هذا الحل بصفة استثنائية على أن لا يكون سابقة •

ـ وكيف تم اتفاقكما ؟

اتفقنا على ان أخاطبه هاتفيا عند منتصف الليل بواسطة رقم أمدنى به لاخبره بما استقر عليه رأيك انت •

ـ وهل لك أن تذكر لى الثمن مقابل هذه الخدمة الجليلة ؟

ـ أضع فى تصرف الاسرة أربعة ملايين من البيسيتات مما يسمح لكل فرد من افرادها بالعيش الهنىء من بعدك بحيث يستطيعون تحقيق كل رغبة لهم فى الحياة • فان تسمح بذلك أشرع فورا فى اتمام الخطة حتى لا تشعر بالحاجة عند فراقك ، أضف الى ذلك أنى سوف اقدم لها علاوة مالية هامة كهدية منى لحرمانها منك بغتة ، فان لم يكن لك اعتراض دعنى اذهب لشغلى وسأخاطب السيد «الموت» هذه الليلة على أن تكون مهيئا لما طلبت منك على السابعة من يوم غد •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والآن مع السلامة ، فلم يبق لى الا بضع دقائق لالتحق بمجلس ادارة شركة ستاندارد ، وأعلم أنه فى اليوم المعين لموتك الحقيقى اكون حاضرا لتعويضك بنفس الاستعداد والحماس اللذين أظهرتهما نحوى

★ ★ ★

وتم الامر كما ذكر ، فقد خاطب السيد طراسبياس الموت بالهاتف عند منتصف الليل ليقول له ان كامويسو يقبل أن يعوضه ، أما الزوجة فلم تعرف أبدا من الذى وضع فى تصرفها كل ذلك المال من بين أصدقاء زوجها •

ان الحياة قد لا تخلو احيانا من العطف ، وليس فى زمننا هذا من يدرك قيمة خسارة الوقت الذى نصرفه فى عجلة •

محمد مزغيش

نـادر السبـاعي

الـبـقـعـــة

ما يشعر به ليس حلما . كان يسكن في ذهنه هدير أوهام . ضاق ذرعا بالصمت المكرر . كان المكان مظلماً موحشاً ، ما عدا بقعة ضوء تسللت عبر ثقب من النافذة واستقرت على جدار الغرفة .

ترسبت في ذهنه أخيلة موحشة « ما إن أفاق غريغور سامسا ذات صباح من أحلامه المزعجة ، حتى وجد نفسه وقد تحول إلى حشرة ضخمة ... »

فاضت نفسه كآبة .. لا يدري ماالوقت ؟! حاول أن يرفع رأسه . كان أول ما اعتزم القيام به أن يلبس في هدوء ، ويتناول فطوره مع والده ، ثم ينطلق إلى الجامعة .

تململ وهو يحوص ، نأى عن تأملاته . ظل في الفراش موزع البال يفكر في أمر والده العجوز الذي يقاسمه هذا المصير .

« لم يستيقظ غريغور ، إلا مع الغسق ، من نوم عميق كان أشبه بالاغماء منه بالرقاد ... »

تحولت عيناه إلى النافذة . البقعة الضوئية قد أثارته ، والهدوء الليلي قد ابلع الميقات . ران عليه صمت أزلي . حملق باستياء مقيت . كان يتوق ان يمضي كشأنه ، ولكن نصفه السفلي الهامد تيبس كجذع شجرة ...

ارتسمت على محيا والده بسمة وادعة وهو يسأل :

« ماذا تقرأ ؟ »

« المسخ ! »

انتفض الأب وهو يقول « أعوذ بالله . »

أعلن بقنوط :

« لا تتعوذ يا أبي .. أجد نفسي فيه !! »

نصحه الأب قائلا :

« خذ القرآن واقرأه بدل هذا الوهم . »

انغمر في متاهات . يستشعر بين الحين والآخر حرارة الخجل والأسى من استلقائه في الفراش . ربما في قناعته قد أوجد وجه الشبه بينه وبين غريغور سامسا .. ينتابه إحساس بالضعف ، وهذا ما تمقته نفسه بصلابة .

ظل راقدا وهو يتأمل البقعة التي أثارت شيئا ما فى أعماقه : ويح قدرتى التى تهجر شرايينى يوما بعد يوم !

فتوة شامخة تسربت بهدوء . ربما لم يتحول إلى صرصار كما تحول غريغور المسكين لكنه من الغرابة أن يعتبر من البشر الأحياء .. تراه غائر الوجنتين ، كليل العينين نحيل الذراعين ضامر الساقين .

تطارده أطيافها التي احتلت شغاف قلبه . أين هى لترى ما آل إليه حاله؟ هاهو ذا في غرفته المظلمة يستحضر الذكريات . يحلم أن يستعيد نشاطه وعافيته . هبط عليه المرض كغمام أسود . ملّ دفء الفراش الذى تحول إلى لزوجة مقرفة .

صاح في مقت والدموع تسح من عينيه :

« ألم تأت ؟ »

لم يجب الأب .

« لم أتصور أن في قلبها هذا الجفاء ! »

« اعذرها يا بني .. »

« انعزلت عن دائرة البشرية كما انعزل غريغور المسكين . »

أغمض عينيه .

تلألأت أيامه الماضية طيوراً من ذهب . يوم كان يتدفق حيوية ويمضي في اختيال . عرف سبب نفور أساتذته منه وتهربهم من الخوض معه في أي جدل فكري ، ربما لما كان يطرحه من آراء متطرفة حادة .

يتقلب في فراشه محاولا التخلص من ذلك الطنين المزعج الذي يدور في ذهنه . أي ريح تفجرت في أعماقه . الاكتئاب أمده بشعور باهت خفي ، حتى بات يتأفف من كل شيء . صرخ بعصبية :

« هل سأظل هكذا يا أبي ؟! »

« تجمل بالصبر . »

قال بلهجة ساخرة :

« ما نفع الصبر والطب قد يئس من علاجي . »

« قو إيمانك . »

أطبق صمت . ثم أعلن شاكياً :

« ولكن الألم لا يبارحني . »

امتقع وجه الأب . أخذ يداعب لحيته البيضاء وهو يفكر بأجوبة لتلك الأسئلة المتلاحقة . حاول أن يبث العزيمة فيه . قال بعطف :

« هون عليك . »

قهقه الابن في استرخاء وبلادة . ثم أجاب :

« هل أنشد السعادة وذكرها يؤلمني كالتعاسة ؟! أين الفتاة التي أحببت ؟. تخلت عني مثل بقية الناس . » تأوه ثم تابع يقول ، « أي محنة هذه ؟ »

عمّ أرجاء الغرفة سكون قال الأب معاتبـًا :

« نسيت رأي الأطباء . » أطرق لحظة ، « إن الشفاء الذي تطلبه منهم بات عسيرا . شفاؤك رهن إرادتك . »

قال في استهـزاء :

« هراء .. كـلامهم هذا إقرار بعجزهم . »

« لا بني .. أنت بحاجة لثقـة بالنفس . »

.....

« ألم تعلم أن الله قد أوجد لكل داء دواء ؟ »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قاطعه بنزق وتبرم :

« ولكن أين دوائي ؟ »

« تمهل .. أتعتقد أن الدواء هو ما يقذفه لنا العلم من عقاقير ؟! إن الطب يقف أحيـانا عـاجزًا عن شفاء مريض قد تلاشت لديه إرادة حب الحياة . »

بعد لحظات . تنبعث من أعماق الابن نفحات دافئة . يهتف بلين واستسلام :

« لقد فقدت صلتي بعالم الأحياء . والناس قد تناثروا من حولي . » أشار بيده ، « وأنت في قرارة نفسك ألم تتأفف مني أيضـًا ؟ »

« لا يا بنى .. أنت بضعة مني . »

نظر إليه مستبشـرا . ابتدأ الجبل الجليدي بالذوبان . أعلن الابن :

« بدأت أشعر بارتياح . »

ضحك الأب وابتهج ، وقال بثقة لا حدود لها :

« عندما تشرق الشمس لا يمـكننا أن نخفي وجودها يا بني ... و ... »

انداحت كلمات مضيئة ، لتحتل مساحة واسعة في نفسه . ها هي البسمـة تشع على شفتيه . أخذ يستعيـد كلمات والده العجوز في وحدته « علمتنا كلمات الفلك أن الشمس بازغة مهما اشتد الظلام ... الظـلام ... الظـلا ..... »

.....

ما يزال في الفـراش ممـددًا .

البقعـة الضوئية قد تمددت على جدران الغـرفة . والسمـاء أوقدت شعلتها المقـدسة بين رماد صدره .

أحس بالـراحة .

هاجر الدوار المزعج من عقلـه . ابتدأت تـكبر بقعـة النور ، وتـكبر ... عم الغـرفة نور مريح .

* * *

نـادر السبـاعي

محمـود بلعيـــد :

هـــــدو

(الرجاء القراءة بلهجـة مغربيـة)

هدو رحت ، رحت ونعست والا كيف ، ايه والله هذه طريق الدنيا أهـدو ، كيف أنت كيف دجا الكلام لا ، الصياح لا ، أنا أحكى وأنت فمـك مسدود ، لا تهدر كالجمل ولا تصدعنى ، ولا ترفع صوتك تتغوث آه الدنيا تتغير ولا تهز يدك على ، أربعين عام ، أربعين عام وأنت تهددنى تسد الدنيا عنى آقـو .

شفتنى وقلت ها الطفله مزيانه ، شابه الطفله ، وذبلتنى أهدو ، كـان بابا يحبنى ، يدللنى ، يشرى كى ما نبغى ونشتهى ، ونقول كـان بابـا يلاعبنى ، يفرحنى ، وجئت وطلبتنى ، وقلت الطفله جميله ومفتحه كالورده . واخذتنى ايه اربعين عام ، اربعين عام لا اولاد تأتى وحدى ووحدك تقنقن على ، وتدور على ، وتعركنى يا هدو ، قل توه وفى لا تعارك ولا تخاصم توه انتهيت وكملت اهدو .

بين الجيران انت تحب لا اخرج ولا احكى ، ولا أتكلم وأقعد وحدى حـرام عليك ، اربعين عام تخلينى النهار كله وتجىء نصف الليل والزرواطه فى يدك آش طيبتى آش حضرتى آش اكلتى آش تعشيتى ، قلت لك كيف عندك كولى وكيف ما عندك ما توكلى ، قلت لك كيف عندك كعبتين بطاطه أقلى واحده اليوم والاخرى لغدوه ، وكيف عندك ڤرنين فلفل أقلى واحد اليوم والاخـر الغدوه ، كيف عندك كعبه طماطم اقليها وخذى الزريعة اعملى بها « دوازه » مرقة .

آه أربعين سنة أهدو جبتنى وإلطختنى هنا . وقلت العيشه خيـر وتونس مزيانه ومليحه ، وأنا ما اتكلم ، وما أقول كلمه ، وتأمـر وتدبـر واش واش ابعدتنى عن اهلى وناسى . غريبه وحدى وجبتنى وجبت الزرواطه راس الكلب ها هى الزرواطه أحكمها بيدى ها هى الزرواطه الغليظه رأس الكلـب الاصفر بانيابه يا توخه هى عندى بدركم هاهيا هاهيا هاهيا هاهيا هى الزرواطه اهدو .

آه اربعين عام قلت العيشة هنا التمر وحليب ومسفوف بالرمان ومسفوف بالعنف وحلاويات الشام . آه تعرفنى احبها وقلت لى الزبده بالرطل والكيلو . آه اهدو غدرت بى والله غدر بك أنت ما تشبحنى قل أهدو وأنت ما تحب أكلم الناس والجيران ، واخرج للشارع وحدى ، وما تحب أروح للحمام الا من العام للعام ، وكيف كنت تحكم كنت تشوى لى كبدى وتهدنى وجلدى كله أزرق حباط حباط والزرواطه تطلع وتهبط وأنا أصيح وانت تنزل على الرأس والظهر والشرار من عينيك يتناطر ، وأنام على الحصير فى القاعه على الارض وأعوى كيف جروة الكلاب .

الله لا يسامحك ، والله النار تترقب فيك تشوى لك لحمك وتحرق لك عظامك النار تستنى فيك .

الجاره تجينى وتخاف منك وما تحب تدخل البيت والله وتبقى عند الباب حتى وانت غائب وما تريد تدخل ونخرج لها ، وأبقى معها الصباح كله ونحكى ونهدر ونبصر ، ونضحك ونفدلك ونفطر وانت ما تسمع وما تعرف لو كنت تعرف تزروطنى وتزروطها وتموتنى أنا أهدو .

فاطمه تجينى وما تحب تشوف ، وما تحب تتكلم عليك ، وزهره تجينى وما تحب يذكر اسمك ، وحليمه تجينى وتقعد عندى وامشى لها لدارها وانت لا تعرف ولا تدرى . وكان تسمع تقتلنى أمشى لدارها وأقعد اليوم كله نحكى ونبصر ونشرب القهوة الى ما تشرب فى البيت وتقول ما تحبها وما تطيقها وتدخن حليمه وأدخن معها وانت كان تدرى تذبحنى ، وترقص وتغنى وراجلها ما يعرف وانت ما تعرف والو ، الفحام محمد اخرج له واطل عليه وأنت ما تعرف وعبد الله يجيب الماء ويدخل الدار وأشوفه ها وانت ما تدرى هاما ، هاهدو ما تهدر كيف والله عجيب وما عجيب عند الله هى .

تجىء نصف الليل وتبغينى فائقه ، وتجىء الواحده بعد نصف الليل وتبغينى قائمه ، وتجىء فى الثلاثه وتريدنى قاعده وما تجىء فى الليل والو ، وأنا أترقب وما أنام وتجى وما تجى وأنت كيف يظهر لك كيف تحب تعمل وكيف تشتهى تدير . وكيف تدخل تصيح وتعيط واحط العشاء وتاكل وتنادى ياطو يادون ، ياطو ياطو ويجيك القطوس ياطو وتجيب له السمك وتجيب له اللحمه وتجيب

له الكسره وتجيك الياطو ذيله قائم وتعطيه يتعشى على ركبتك يا هدو وتعطيه يأكل وانت تاكل وتنظر له ، وينام عند رجليك الياطو وكيـف الصباح يصبح يقفز ويطلع فوق السطح . وكيف يراني يجرى وكان اشده اخنقه ، واجعلـه جيفه وارميه على الزباله ، يعرف يعرف وما يهبط إلا كيـف يسمعك تدخـل ، ويبقى يترقب فيك من فوق السطح يمعوق ، وغلقت عليه الباب يوما وحصل ياطو يوما وقمت له بالعصا ، وقمت له اضرب واضـرب وخمشنـى وحدشنى وخبشنى وسيل لى دمى لو قدرت نشد وسال الدم من يدى وزندى وكان كنت امسكته رانى قتلتـه .

آه قل له العيد ، لا عيد ولا مواسم ولا عاشورا ، والكبش تدخلـه فى يومه نعجه نعجه تصيح فزعة وانا حتى يوم العيد ابقى لا اعرف تشرى والا ما تشرى تعيد كيف الناس والجيران ولا ما نعيد ، ورمضان أبقى وحدى آكل وحـدى ، افطر ، وحدى ، وتقول المرقة والكسكس خير خير للصحة واحسن للعينين وخير للركبين خير كل يوم المرقة والكسكسى وانا أطيب الطاجين جبن واكل وانت ما تدرى واخفيه وانت ما تعلم واعمل البريك التونسى وانت والو .

ويوم تريح ترقد وتنام حتى الحداش ونصـف النهار . وعندما تقـوم تكـر وتنبح كالكلب الاصفر وتفطر ثم الشاى والشاى والنعناع والشـاى وتأخـذ الشيشة وتقرقر وتقرقر كالجرانة تقرقر وتخرج للقهوة والمدينة ومـا ترجـع وتعود الا نصف الليل وبعده وتنادى ياطو ، وتنام وتشخر .

كيف تقوم تقوم لى والزرواطه فى يدك وكيف تقوم تقـوم لى وتخبطنى وانا تعيط وما ينفع وانت تزيد تضرب وانت تزيد تخبط وما عملت وما قمت بجريمة والدم يجرى ياهدو ، ها الزرواطة فى يدى قم قم توه قم هيه توه نخبطك تتحرك اكسرك راسك ، اردخك ايه ما تقدر تتحرك أهدو ، انت ملطوخ قربة مقعورة ما تقدر تفتح عينيك وتحلها ، اكسر لك رأسك بالزرواطة رأس الكلب ها هى ، انت تسمع ولا تقول كلمة غدوة النهار يطلع يجيووك ويهزوك وانا والله ما نبكى والله ما نمشى وازورك وما أحب اعرف اين يحفرون لك الحفرة ويردموك والله ما نزورك .

محمـود بلعيـد

محمد عبد الرحمن يونس

مـرثيــة لـوجـه صـديقـة

ـ 1 ـ

فى الزمن السرمدى الفارق بالكبوات ، كان وجهها هانــة رؤى / سنونــة نستجلى بعدا يتكور مسحوقا فى عالم الاشياء بتداخلاته الحادة ٠

الزمن الفاصم / السيف / بين الانسان والانسان يشكل شرخا بينى وبين الوجه / يتحول الى هالة ضباب / وفجأة يستجمع خيبات التاريخ ٠

العينان غريبتان / الشعر الاسود الفاحم تغيب انسياباته / على مســاحة الوجه رؤى مبهمة غامضة . وسرعان ما تصدع الجدار ، وسرعان مــا تساقط سد مأرب / لماذا تسقط السدود كلها ؟ . لماذا تبقى الحواجــز كلهــا ؟ ولمــاذا الطيب المتناغم فى مساحة العينين يتكور مرميا على نفسه ؟ ٠ كل الاشياء الى زوال ، وحدها القرية راسخة راعفة كالطود ٠ فى الزمن الفارق يتقدم شمر بن ذى الجوشن ويسدد رمحا لرأس القمر : اشهدوا لى عند الخليفة أنى أول من أفرغ الكنانة ٠

ـ 2 ـ

عند رصيف الشارع اصطفت الجثث مرميــة . كــان حراسهــا متبرميــن ضجرين ٠٠ تأخرت سيارات الاسعاف ٠ وحان وقت الصلاة ٠ تأهب الحراس للتوجه الى المسجد ، تقدم والد إحدى الضحايا . مد يده للحارس الكبير مسلما . تراجع الحارس جفلا ساخطا :

أتريد أن تفسد وضوئى ؟ انى ذاهب الى الصلاة ٠

وكانت الضحية ما تزال تعانق الارض البور الخربة .

- 3 -

عند بوابة الشارع ، شاهدت الحارس ، وشدت على يديه . صعدت سيارتها ، تقدمت وسط الزحام .. كانت أفاع وذئاب غريبة بأذناب طويلة تحاصر الشوارع والسيارات والمارة ، وكانت ألفة غير اعتيادية بين السيارات والجموع الزاحفة .

- 4 -

توقظ رائحة الارض الشبق الطينى للانسان كما الجدول يوقظ حسن الوردة كم المسافات شاسعة بين السنونو والوردة ! كم الفواصل حادة بين الوجه والوجه ! تغرق مساحات الود فى أعماق الطين ، يتراكم متكوما .. على نفسه .

يخلع الناس ثيابهم .. يتسابقون سابحين .. يضحكون ويغنون / تنبهت مسحة الالفة من عينيها / يتشامخ الرأس رويدا رويدا / يعانق السماء السابعة، ثم ينحدر باسطا قسماته معانقا بقعة تفترش أرصفة المدينة وساحاتها .

- 5 -

ثريا من أنت ؟

رقم فى آلة ، زجاجة تصطف ملاصقة زميلتها فى رف الحانة . سيارة بأربعة أبواب تجوب أزقة المدينة وبحيرات طينها .

دينار .. ليرة .. درهم ، يرتعش راقصا وراء زجاج واجهات بنوك التنمية الاقتصادية .

يتكور الزمن ماردا على نفسه ، يدخل قمقما .. يسد السجان فوهة القمقم بحكمها بالرصاص ، ثم يرميه الى أعماق المحيط .

تخلعين عباءاتك / تتكسر أوتاد الخيمة ، تلفها زوبعة صحراوية . كثيرة زوابع الصحراء الهادمة خيام البدو الاليفة فى حينا .

ترفسين الارض حنقا / تودعك كلاب العشيرة بعيون كسيرة / تصعدين صهوة جواد / يحتضنك الفارس / ينهب أرض الصحراء المستيقظة برائحة الكثبان / يدخل بوابة المدينة.

أى جواد طموح هذا الذى يخترق البوابات غير آبه لجيش الحرس الرابض وراءها ؟ يطأطىء الحراس هاماتهم / تتشامخين / تتطامنين ثم تغورين فى المستنقع ، تتجذرين محتضنة طينا معتقا / تعانقك الخضراء بذراعيها الناعمتين، يمددك الخليفة اسفنجة / تتمططين وتتانقين قطا أليفا / يلعق حلمتى ثدييك الصحراويين • من أنت ؟ الليلة زجاجة على رفوف الخضراء ، فارغة حتى منتصفها ، وغدا يكتمل الفراغ ، وقريبا يبتلع التنين جسد الزجاجة •

- 6 -

فى حانة الطرق الاربعة بـ «أكدال العالى» ، يتصاعد دخان سيجارتك اخطبوطات تحيط فضاء الحانة • يترنح رأسك خفيفا كفراشة •• يقتلعها الضوء / تعانقك الزجاجة •• تعانقينها • كأسك •• بصحتك ، يصيح الرواد •• يحاصرونك ثم يقذفونك نابضة فوق رصيف «محى الدين ابن العربى» •• استجمع خطوانى •• جسدك النابض كحولا باردا •• أرفعه وحدى •• أدخله جوف السيارة •• وتترنحين عارية •

سيارة وسجائر وكحول أيتها المتشامخة • ابتسامتك الطافية مساحة وجهك تغرق خجلة وسط بحار موشحة بالظلمة •• تقطع بك السيارة آخر شارع فى المنفى / تدخلين •• تزيلين روائح الكحول •• تتوضئين ، ثم تيممين وجهك راكعة قارئة الفاتحة ، و«قل هو الله أحد» •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لاتفسد وضوئى •

تتطهر القديسة الليلة بوشاح صفاء روحى ، تعانق محى الدين بن العربى والحلاج ، ثم يعانقها قط الخضراء شاربا عسلها ولبنها •

- 7 -

عند رصيف الشارع اليمينى اصطفت سيارات الاسعاف • وكانت الجثث ترقص بين أيدى حراسها • صاح الحارس الكبير : أسرعوا •• هيا لقد اقترب موعد الصلاة • امتلأت السيارات بالجثث ، تقدمت شاقة طريق المقبرة • اقتربت صديقتى من الحارس الكبير وعانقته بلهفة ، ثم صعدت سيارتها ، وغابت وسط الزحام ، وكانت ذئاب بعيون حجرية قاتمة تحاصر الشوارع والمادة والسيارات •

اسبانيا ١ ـ 8 ـ 1985

محمد عبد الرحمن يونس

مسابقة نادى القصة

جائزة الابداع القصصى لنادى القصة

I ـ الشروط :

يعلن نادى القصة بالوردية عن تنظيم مسابقتين إحداهما فى الابداع القصصى خاصة بالرواية والقصة القصيرة ، والثانية خاصة بالقراءة القصصية وذلك بنقد نماذج من القصة القصيرة والرواية التونسيتين ودراستهما .

أ ـ بالنسبة الى المجموعة القصصية والرواية :

1 ـ أن يكون المشارك من أعضاء نادى القصة .

2 ـ ألا يكون الانتاج المرشح قد سبق نشره جزئيا أو كليا .

3 ـ ألا يقل عدد صفحات المجموعة القصصية أو الرواية عن 150 صفحة مرقونة 31 × 21 .

ب ـ بالنسبة الى القراءة القصصية . والمشاركة فيها مفتوحة :

1 ـ ألا يكون الانتاج المرشح للجائزة قد سبق نشره فى شكل كتاب .

2 ـ ألا يقل عدد صفحات الدراسة عن 150 صفحة مرقونة قياس 31 × 21.

II ـ آخر أجل لقبول الانتاج :

يقدم الانتاج (مجموعة قصصية ـ رواية ـ دراسة) فى ثلاثة نظائر عن طريق البريد الى الوصول باسم السيد رئيس نادى القصة 77 مكرر شارع بلفي ، الوردية 1009 تونس ، فى أجل أقصاه موفى شهر أكتوبر 1986.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com